محمد متولى الشعراوى

دعونى وربى

الأيام الأخيرة في حياة الشيخ

بقلم

ابرهيم حسن الأشقر

دار الروضة

للنشر والتوزيع

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين الذي رحم الناس بمنهج الإسلام, والصلاة والسلام على رسول رب العالمين, مبلغ مراد الحق للخلق... أما بعد...

جرت سنة الله في خلقه من الرحمة بهم أن يرسل إليهم الرسل, ليبينوا للخلق مراد الله من خلقه والطريق القويم إليه... ولكن الإنسان كثيرًا ما ينسى وكثيرًا ما تغلبه شقوته, فتوالت الرسالات حتى جاءت رسالة الإسلام الخاتمة ورسول الإسلام الخاتم, وإنقطع وحي السماء عن أهل الأرض,فمن يحمل دعوة الله إلى الخلق بعد ما اكتملت, ومن يذكر الناس إذا غفلوا؟!.

إنهم ورثة الأنبياء... إنهم العلماء الذين ورثوا الحق عمن جاءوا به من مصدره, فعملوا به وعاشوا له وعلموه الناس.. وبات العلماء يسلم كل منهم الرسالة لمن يتبعه, يبعث الله تعالى على رأس كل مئة عام من يجدد للأمة دينها, وكثر العلماء في هذا القرن, ولكن من يجدد للأمة دينها, ويعيد التواصل ثانية مع نهج السماء لترتبط الأرض بالسماء, لقد كان ذلك المجدد هو - **إمام الدعاة إلى الله الشيخ الشعراوي**- الذي حاولت بهذا الجهد المتواضع أن أضعه في مكانته اللائقة به والتي احتلها في قلوب الملايين, ومع أول صفحة في الكتاب وجدت نفسي أمام شخصية؛ يصعب إعطاؤها وصفًا ليعبر عنها, فلن يكون غير أنها "مصر"... نعم هي مصر بكل

شموخها وتواضعها وعلمائها وثورتها وقوتها وحكمتها, فوجدت أن الشيخ الجليل على مدى حياته المديدة (٨٧) عامًا, قد مر بأربع مراحل متباينة في مفرداته ومدلولاتها, تصلح كل واحدة منها أن تشكل مقومات لشخصية ناجحة ومرموقة في المجتمع. فكيف تجتمع في شخص واحد, وكيف أستطيع الربط بين كل هذه الأحداث, التي امتزجت بتاريخ أهم وأخطر فترة في حياة مصر الحديثة, فالشيخ نراه في مرحلته الأولى من حياته طفلاً يلهو ويلعب ويحفظ القرآن الكريم, ويشارك الكبار في الشعور الوطني, ثم نراه في مرحلته الثانية طالبًا أشبه بطلاب الحركات الوطنية فهو يشارك في الثورات ويعتقل وينتخب زعيمًا للطلاب, ثم نراه في مرحلته الثالثة معلمًا ومربيًا, يترقى في السلك الوظيفي حتى يصل إلى درجة وزير, ثم هو أخيرًا عالمًا يمسك بزمام القلوب, فيجمعها حوله, فمن هذا الشيخ؟...

هذا ما حاولت معرفته وبيانه في السطور القادمة.

إبراهيم حسن الأشقر

١٩٩٨/٦/٢٣م

تذكرت الرؤيا

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة والثلث صباحًا عندما كنت أجمع خيوط الموضوع, الذي أكتب فيه... وفجأة ظهر المذيع على شاشة التليفزيون ليعلن عن مغيب نجم الدعوة في القرن العشرين وترتفع صيحة من في البيت

" **مات الشعراوي** ", وإذا بي أدفع مكتبي الصغير, مندفعًا نحو شاشة التليفزيون لأتبين الأمر, وأقرأ على الشاشة عبارة "**وفاة الشيخ محمد متولي الشعراوي** ", وقفت مذهولاً, كأنني فقدت أبويَّ وشعرت أنني في صحراء واسعة... ومرت بخاطري تلك الرؤيا التي أخبرتني بها فتاة قبل وفاة الشيخ بشهر ونصف تقريبًا, وأقسمت لي على صدقها في ذلك, بل وكتبت ما رأته وختمت كلامها بعبارة "والله على ما أقول شهيد" فماذا رأت تلك الفتاة...

تقول: رأيت فيما يرى النائم في منامه أنني أقف أمام مسجد ضم جموعًا من الخلق, لم أرى لعددها مثيل, وكان للمسجد مآذن ثلاثة, المئذنتان اللتان على الطرفين متساويتان في الارتفاع والحجم, أما المئذنة التي تتوسطهما فتعلوهما هامة, وأخذت تلك المئذنة تعلو وترتفع ويزداد ضوءهما حتى وصلت عنان السماء بل شقت طريقها إلى السموات السبع, وهي لا تزال على حالها ذلك حتى اختفت فجأة ودون سابق إنذار, وخلفت ورائها نورًا عم الأرض بأكملها, وضوءًا شديدًا قويًا ووجدت لساني يردد اسم شيخنا الجليل, حتى

استيقظت من نومي واسمه يتردد على لساني, ومن العجيب أنه لم تخرج مئذنة أخري لتحل محل هذه المئذنة بل وجدت عددًا من الشباب يقفون في مكان هذه المئذنة.... هذه رؤيا الفتاه, شعرت منذ أن قصتها عليَّ أن الشيخ قارب على الارتحال من عالمنا. كما شعرت أيضًا أن الرجل سوف يترك فراغًا يصعب ملؤه, وراودتني فكرة تناول حياة هذه الشيخ الجليل وعرض كثير من مواقفه وفصول معركته التي لم تثنيه مع الباطل, والتي كان كثيرًا ما يتكلم عنها فيقول: إن المعركة بين حق وحق لا يمكن أن توجد وأما المعركة بين حق وباطل فإنها وان طالت فإن الحق ولابد منتصر, لأن الباطل زهوق. فهيا بنا عزيزي القارئ ندخل عالم هذا الإمام الجليل, ونعيش معه تلك المعارك ونطوف بحياته منذ مولده ونشأته في قريته دقادوس وخروجه منها إلى الزقازيق, وتعلمه في معهدها الديني إلى انخراطه في ميدان العمل ومواقفه الزكية مع رجال الدين والحكم, ومنهجه في تفسير كتاب الله تعالى, وطريقه إلى كرسي العرش في مملكته التي بناها في قلوب الناس.....

مولد إمام

كان يومًا عاديًا في حياة أهل دقادوس تلك القرية الصغيرة التابعة لمركز "ميت غمر", غير أنه لم يكن كذلك في أسرة الفلاح المصري البسيط... **متولي الشعراوي سنان** الذي استقبل خبر مولوده بسعادة غامرة, وأصبح الصغير قرة عين لأبويه,

وكان متولي الشعراوي, ذو حث ديني ورثه عن أبيه, فغرس تعاليم الدين التي حرصت عليه القرية المصرية, والتي كانت سمة من سماتها, فنشأ ولده محبًا للقرآن الذي حفظه كسائر أبناء القرى في ذلك الوقت في الكتّاب, وعلى يد شيخ كان يعلم تلاميذه كيف يحفظون القرآن, وكيف يتذوقونه وأنتبه الشيخ إلى ذكاء وسرعة بديهة تميز بها الصغير "**محمد**" فأحَسَّ أن الغلام سيكون له شأن كبير ولم يكن "**متولي الشعراوي** " أقل إدراكًا من الشيخ لنبوغ أبنه المبكر, فبدأ يرسم له الطريق الصحيح نحو العلم, آملاً أن يصبح ولده أحد علماء الأزهر, الذين يقتدى الناس بهم, ويعملون برأيهم وتوجيههم, أما الصغير "**محمد**" فراح يمضي طفولته في القرية كواحد من أبنائها ينمو معهم, ويتشبع وجدانه بعمق الإسلام الذي ملأ عبيره جو القرية المصرية آنذاك, يصطحبه والده معه إلى المسجد, فيصلي خلف الكبار وتتجسد قدسية المسجد في قلبه, يأتي رمضان ويصوم "**محمد**" كما يصوم الكبار وكان أول صومه -كما هو مشهور بين أهل القرى – صومة الفار.

فكانوا يقولون للصغير إذا أرادوا تعويده على الصوم صُمْ صومة الفار كل ما تجوع تجري على الدار, وصام الصغير صومة الفأر, ثم تدرج في الصوم ليبلغ مرتبة أعلى عندما بلغ العاشرة من عمره فصام صومة -الفولاحه- من الصبح حتى العصر, حتى أكتمل نموه فصام صومة المركب من الصبح حتى المغرب. كما يقول له الكبار والذين تعلموا التدرج في عبادات الإسلام, دون معلم وكانت أسعد لحظات الصغير في يوم رمضان لحظة انطلاق المدفع, الذي كان يطلقه الأطفال, وكان عبارة عن ماسورة من الحديد مسدودة من أحد طرفيها ولها مسمار في حجم قطرها, ويعمد الأطفال إلى حشو الماسورة بكمية كبيرة من رؤوس عيدان الكبريت وبعض البارود الذي يوجد في -البمب- وكان "**محمد**" يقتني واحدًا من هذه المدافع ليمارس هذه العملية بنفسه, وتمضي طفولة باسمة, يتربى فيها الصغار كيف يكبروا أمام أنفسهم, بمعنى أن يستصغروا عمل الشر من الآخرين, فالترفع عن الأفعال والأقوال القبيحة أحد المقاييس المهمة للرجولة, فالرجل الحقيقي الذي عرفه "**محمد متولي الشعراوي**" هو الذي يستصغر عمل الشر فلا يعمله, بينه وبين نفسه, كما لا يمارسه أمام الناس; فالذي يرائي بعمله أمام الناس, ليس برجل حقيقي لأنه يخادع نفسه, أما حقيقة الرجولة أن يلتزم الحق والخير أمام نفسه وأمام الناس, فيكبر عند الناس كما يكبر في نفسه .. وكما لم تكن البيئة العامة للقرية خالية من المباذل الموجودة في المدينة وأسباب الغوايات والإبتعاد عن الطريق الذي رسمه الأهل,

كانت كذلك الحياة العامة مشحونة بالأحداث السياسية التي شغلت الصغير الذي فطر على الوطنية قبل الكبير, ففي سن العاشرة تطرقت إلى أذان الشعراوي الصغير أخبار ثورة سعد باشا زغلول ١٩١٩م, الذي يسعى لتحرير مصر من قبضة الاستعمار, وكان عقل الصغير يكبر قبل الأوان, وطموحاته تتخطى حدود المكان, ولم يشغله ذلك كله عن كتاب الله, الذي أتم حفظه في كتاب القرية في سن الحادية عشرة وجَوَّده في الرابعة عشرة من عمره, وإمعانًا من الأب الحريص على مستقبل ابنه في إمضاء رغبته في أن يكون لأبنه شأن في العلم وبين العلماء بعد أن رأى ماله من قدرات تؤهله لذلك, قدم الوالد طلب التحاق بمعهد الزقازيق الديني الذي أنشئ عام ١٩٢٥م, وقابل "**محمد**" هذا الأمر برفض غير معلن, فهو يرفض هذا التحول الجذري في حياته; فهو قد حفظ القرآن في الكتاب. ويعلم من أمور الدين شيئًا لا بأس به فلماذا إذًا يترك فلاحة الأرض التي عشقها ويذهب إلى المدينة وأهلها الذين لم يعاشرهم, وجوها الذي لم يألفه, ولم يستطع فعل شيء غير هذا الاعتراض الداخلي أمام قولة أبيه له: يا محمد قدمت لك طلبًا للالتحاق بمعهد الزقازيق, وغدًا سوف يكشفون عليك طبيًا, وأمضى "**محمد**" يومه يفكر في حيلة يتخلص بها من الكشف الطبي وأخيرًا واتته حيلة كان يفعلها الأطفال في مثل هذه الظروف, فوضع التراب في عينه حتى تتورم, وحاول أن يضع الشطة في عينه إمعانًا منه في فلاح حيلته, إلا أنه أقلع عن هذه الفكرة لفداحة الخسارة معها ورضى بالتراب الذي تورمت له عينيه,

وذهب مع أبيه إلى معهد الزقازيق لإجراء الكشف الطبي والأمل عنده أن يسمع الطبيب يقول لوالده: إن ابنك لا يصلح لدخول الأزهر, وما إن وقف الشيخ الصغير بين يدي الطبيب وألقى نظرة على أقرانه المتقدمين للكشف معه حتى شعر بخيبة أم وأحس أن خطته قد ذهبت أدراج الرياح, فهم يقبلون المكفوفين أيضًا, وراح الصغير ينعي حظه ويعاني ألام عينيه, ثم جاء ميعاد الاختبار في حفظ القرآن الكريم, وفكر الصغير في حيلة أخرى للتخلص من الالتحاق بالتعليم, فراح يخطأ عامدًا في القراءة ويتناسى بعض الكلمات حتى يرسب في الامتحان, ولكنه لم يستطع إخفاء ما حباه الله به من طلاقة لسان في كتاب الله, وضبط لمخارج الحروف التي أدخلت الشك في قلب الممتحن بأن الصغير يحتال للتخلص من الالتحاق بالأزهر, فذهب إلى والد "**محمد**" وقال له: الولد ابنك غير حافظ للقرآن, فقال الوالد في ذهول : كيف, وفطن الوالد لما ذهب إليه الممتحن فنظر إلى أبنه نظرة كانت كافية لأن تسحق أي رغبة أخرى غير أن يتلو الصغير القرآن كما تعلمه وكما جوده, وبعد انتهاء الامتحان الذي اجتازه "**محمد متولي الشعراوي**" بنجاح, فقال له الممتحن ضاحكًا: لقد عرفت ما تريد فعله منذ البداية, وحتى لو لم تكن حافظًا لأنجحتك في الامتحان...

في معهد الزقازيق الديني

بمجرد أن تضع قدمك على أرض هذا المعهد, تشعر بـأنك في قلعة علمية حقيقية, فالبناء الذي لم يعكر الزلزال الأخير صفو سكونه تقف جدرانه شامخة تحاكي الزمن, وتضم بين جنباتها تاريخًا لأفذاذ ذاع صيتهم, والتقت النـاس حول علومهـم, ولـو أنـك كنـت إلى جـواري حينمـا كنـت أقـف بـين صفـوف الطـلاب, وأنـا لا أزال في الصـف الأول الثـانوي, وقـد جمعنـا شـيخنا الجديـد الشيخ/ جمـال الديـن غيـث, ليحدثنـا عـن عراقـة هـذا البنـاء, وكيـف أن هـذا المعهـد بأشـجاره وجدرانـه وحجراتـه الدراسـية قـد شـهدت نبـوغ علمـاء أجـلاء مثـل الدكتـور **عبد الحليم محمود** شـيخ الأزهـر, الدكتـور **عبد الرحمن بيصار**, والشـيخ الكبـير **محمد متولي الشعراوي**, والشـاعر **المعروف طاهر أبو فاشة**, وغـيرهم .... لشعرت بصـدق إنـك في أحـد الصـروح العلميـة العريقـة في مصـر, ولتمنيـت مثلنـا ونحـن طلابًـا نـدرس في هـذه القلعـة الأزهريـة. ونجلـس علـى مقـاعد الدراسـة, ويقـول أحدنـا لنفسـه هـل الإمـام **عبد الحليم محمود** كـان يجلـس في هـذا المكـان نفسـه, وكـم تمنيـت أن يكـون أحـد فصـول الدراسـة الكثـيرة الـتي يضمهـا المعهـد بقسـميه الإعـدادي والثـانوي هـي الحجـرة الدراسـية نفسـها الـتي كـان يتلقـى فيـها دروسه, لـو ابتسـم لـك الحـظ يومًـا وكنـت مـن أبنـاء هـذا المعهـد العريـق, لعلمـت لمـاذا بكـى شـيخنا **محمد متولي الشعراوي**, عندمـا زار معهـده الـذي تربـى فيـه في آخـر سـنوات حياتـه عندمـا فوجـئ عمـال

المعهد ذات مساء بسيارة الشيخ الجليل تقف أمام بوابة المعهد, يطلب منهم **الشعراوي** أن يفتحوا له وتوجه إلى فناء المعهد, ونظر إلى بنائه الذي جالد في كل قوة عوامل الزمن, وهنا بكى **الشعراوي** بشدة, ودعا الله أن يعود للمعهد رونقه القديم الذي عهده به فكيف كان العهد القديم يوم أن دخله **الشعراوي** وكيف قضى أيامه فيه؟! ....

هذا ما سنعرفه في السطور القادمة.

من ميت غمر إلى الزقازيق

كان صوت القطار مزعجًا بعض الشئ للطالب **محمد متولي الشعراوي** الذي أستقل القطار من ميت غمر متوجها إلى الزقازيق, في أول أيامه في معهد الزقازيق الديني, لكن الطالب الجديد أخذت تلوح بخلده ذكريات الماضي القريب في سنوات عمره القليلة...

قريته . . والأولاد, وكتّاب الشيخ عبد الحميد باشا, الذي حفظ على يده القرآن ويتذكر كم كان يعاقبه إذا قصر في حفظ آيات الله, وإذا هبط مستواه عن المستوى المعهود عنه, وتعلو وجه ابتسامة رقيقة حينما يتذكر أنه كان يدفع في مقابل هذا الخير الكثير كميات من الأرز والجبن واللحم, وكم كانت قريته حريصة على الموالد وإحضار المقرئين الذين يقدمون لهم أشهى أنواع الطعام والحلويات, حتى أنه تمنى أن يكون يومًا مقرئًا لينعم بالحلوى مثل المقرئين, ويمر القطار سريعًا مبتعدًا عن قرية الشيخ الصغير التي أحبها حبًا جمًا وتغنى بحبها....

دقادوس يا أم القرى ... أنت حرة

وماضيك مشهود وأهلك سيد

وينزل الشعراوي مع أبيه من القطار متوجهًا إلى مسكنه الذي أستأجره له أبوه وفي السكن الجديد يرتب الشاب أشياءه ويستمع إلى نصائح أبيه قبل انصرافه, وهو يعده أنه سيأتي ليسدد له مصاريف الكتب الدراسية ويقضي الطالب الجديد أوائل أيامه في المعهد, وكان

في عـام ١٩٢٦م عـام دخولـه المعهـد الابتدائـي. ولا يـزال الشعــراوي غـير مقتنـع بهـذا التغير في حياتـه ويرغـب في العـودة... حتـى قـرر أن يجعـل أبـاه هــو الــذي يقــرر عودتـه, فذهــب إلى مكتبــة كبــيرة في الزقــازيق, وأخــذ يشــير إلى أضخــم الكتــب الموجــودة في المكتبــة ويقــول لــلرجل سـجل هـذا الكـتاب وهـذا... ثـم طلـب منـه عمـل فـاتورة بذلـك, وفعـل الرجـل صـاحب المكتبـة مـا طلبـه الشـعراوي, وهـو في ذهــول تـام كيــف يسـتطيع هـذا الصغـير قـراءة هـذه الكتـب, وهـي مــن الأمهــات في علـوم مختلفــة... الرياضيــات.. الطــب.. الفلـك... وكتــب الديــن... بــالطبع. وأنتظـر الشـعراوي أبـاه الـذي كـان قـد بـاع المحصـول وجمـع نقـود كثـيرة, وأعطـى الشـعراوي لأبيــه الفــاتورة, وقــال لــه هــذه هــي الكتــب الــتي طلبوهـا منـا, ظنًـا أن أبـاه سيعجز عـن سـداد الفــاتورة, ويقــرر عودتــه.. إلا أن الأب خيـب ظنـه كالعـادة, وذهـب مـع أبنـه وأشـترى لـه كـل مـا طلـب حتـى أنـه أسـتأجر عربـة "كـارو" لحمـل الكتـب, وبعـد أن أطــمئن والـد الشـعراوي علــى ابنــه وأراد الرحيــل, ذهــب الشــعراوي مــع أبيــه ليودعـه, وهــو يســتقل القطــار وأنتظــر الفتــى أن يحدثــه والــده بشــئ, ولكـن الرجـل صــاحب العقــل الرشـيد لم يفعــل حتــى اسـتقل القطــار, وقبـل أن يتحـرك القطـار بـه, قـال لأبنــه: "إيــاك تعتقــد إنــك ضحكــت علـيَّ أنـا رحـت المعهـد, ودفعـت لـك مصـاريف الكتــب وربنـا ينفعـك بـالكتب دي" وتحـرك القطـار قبـل أن ينطـق الفتـى بكلمـة واحـدة, ورجـع إلى مسكنه وهو لا يصـدق مـا فعلـه والـده, وعظـم قـدر أبيــه عنـده.

أهذا الحد يحرص أبي على تعليمي, وأنا أحتال كل هذه الحيل لأنصرف عن التعليم, ودخل الشعراوي حجرته وهو ينظر إلى هذا الجيل القابع في حجرته من فكر العلماء والأدباء والأئمة السابقين, وراح يقضي الليل كله يرتب هذه الكتب التي عزم في نفسه عزمًا مؤكدًا أن يقرأ كل ما فيها ويفهمه ويعلمه الناس ليحقق رغبتة أبيه في أن يصبح عالمًا يشار له بالبنان, وراح الشعراوي بعدها والذي تفجر مواهبه في الخطابة والشعر والكتابة وأسلوب الحوار ما بين إفهام وإفحام كأنه ينابيع الأرض تنفجر بالخير, راح الشعراوي يقرأ بنهم في كل هذه العلوم حتى أنه ما ترك كتابًا بالعربية حتى قرأه... أمضى الشعراوي حياته في المعهد الديني في جد واجتهاد, وشيئًا فشيئًا ظهر نبوغه العلمي والأدبي معًا فكان متفوقًا في الدراسة, مولعًا بالخطب وكتابة الشعر وإلقاؤه, وحسبما عرفنا الشيخ في طفولته عنيدًا يبذل الكثير للوصول إلى ما يريد ولكنه بالطبع عناد في الحق.

ولما كانت الخطاب بل والتنافس مع الأقران في ذلك من أمتع ما يهوى الشعراوي أثناء دراسته, فقد كلفته تلك الهواية وتحقيقها الكثير, ومن ذلك أنه قد تم عقد اجتماع ذات مرة في المعهد, فأراد الشعراوي وأقرانه الدخول ولكنهم وجدوا المعهد مغلقًا فسأله صديقه محمد شفيق عن كيفية الدخول إلى هذا الحفل لإلقاء الخطب فيه, وكان الشعراوي لم تنضب حيله التي مارسها في الصغر بجد, ودبر مع صديقه حيلة للدخول فارتدى زي بائع خبز واستأجر دراجة وحمل

"طاولة الخبز" على كتفه.. وبالطبع لم يعرفه عمال المعهد الذين أذنوا له بالدخول, ومن معه, وبعد أن أعلمهم أنه جاء بالخبز لعمل "السندوتشات للحفل", وما أن دخل الشعراوي وصديقه حتى خلع زي بائع الخبز وترك الدراجة والخبز إلى جوار حائط مظلم في المعهد, ودخل الحفل وتبارى وصديقه في إلقاء الخطب والأشعار, ولكن هناك من كان ساخطًا على الطالبين اللذين سحبا البساط من تحت قدميه, نالا إعجاب الحاضرين, ومرة أخرى يعرف الشعراوي وصاحبه بإنعقاد حفل كبير, وكالعادة منعا من دخول المعهد ففكر الشعراوي في حيلة جديدة ولكن هل تسلم الجرة هذه المرة؟.

استطاع الشعراوي الدخول هذه المرة أيضًا, ولكن هذه المرة تستر في زي سمكري, مدعيًا أن شيخ المعهد يريد إصلاح أحد الأبواب ودخل الشعراوي وصاحبه الخطيب المفوه إلى الحفل, والقيا ما معهما من خطب وقصائد, ولكن أحد الساخطين لم يكتف بأن يعترض في شكل كلمات غاضبة كالمرة السابقة, بل قام بإبلاغ البوليس, وبالفعل فوجئ الجميع بأن الهزل قد أنقلب إلى جد, مع دخول المأمور والعساكر إلى المعهد, وألقوا القبض على ثلاثة عشر طالبًا من زملاء الشعراوي الذي فر هاربًا, ولكنه أبى أن يترك زملاءه في هذه المحنة وذهب إلى المأمور وسلم نفسه, وكانت التهمة جريمة رأى وقدم الجميع للمحاكمة التي أنتهت بقرار فصل الجميع من المعهد, ولم يكن الشعراوي يعلم أن عاقبة حيله التي يفعلها "بحسن

نيـة" سـتكون بهـذه السـوء... لكـن عنايـة الله مـع الجميـع فقـد عــادوا إلى المعهـد مـرة أخـرى, حـين أحرقــت هــذه القضيــة مــع غيرهــا في ميــدان لاظوغــلي عــام ١٩٣٦م.

زواج الشعراوي

الحب كما عرفه الشعراوي هو شئ جميل يدعو لشئ أجمل منه, فهو استقامة تؤدي إلى عفاف النفس, في نظره رباط بين أثنين يحافظ على الود والاحترام المتبادل بينهما, يقوم الاختيار فيه على أساس الرغبة في تحقيق مقصد الله تعالى من الزواج.

ولذلك لم يكن للحب عند الشعراوي طريق ولا غاية إلا الزواج, الذي يقوم على أساس الدين" فاظفر بذات الدين تربت يداك.."ولذلك كما سئل الشيخ يومًا عن الخلافات الزوجية بين أن الله تعالى قد بين المقصد من الزواج, وهو الدين فمن على غير مقصد الله من الزواج فهو الملوم, فسئل الشيخ إذًا هل يعتبر ذلك سوء إختيار من الزوج, فرد الشيخ قائلاً: لا بل هو قصد لاختيار السوء... ولم يكن الشعراوي يفكر في الزواج يوم دخل عليه والده في سكنه الدراسي مع زملائه, وكانت أبنة صاحب البيت قد طلبت إليهم أن يشرحوا لها درسًا في الرياضيات, ولكن الرجل مع يقينه بطهارة أبنه رأى أن الشعراوي بدأ يكبر, ومن الأفضل أن يحصنه بالزواج, وكأنها تصاريف القدر؛ لأن مثل الشيخ لا يجب أن يقترب من الغواية ولا تلوح هي له من بعيد, وتلك سنة الله فيمن يعدهم لحمل دعوته....

ويرجع الشعراوي في إجازة الصيف إلى دقادوس, فيجد والده قد عقد العزم على تزويجه. وهو لا يزال في المرحلة الابتدائية. وتفهم

الشعراوي مقصد والده إلا أنه لم يكن قد حدد امرأة بعينها, فترك الاختيار لوالده شريطة أن يكون الزواج على مقصد الله منه, وتزوج الشعراوي من ابنة خال والده, وكانت وحيدة أبويها, وكان المهر في ذلك الوقت ثلاثين جنيهًا تدفع مقدمًا وخمسة عشر جنيهًا تدفع مؤخرًا, ولقد سبب هذه الزواج المبكر عديدًا من المواقف التي بعضها طريفًا, فقد تغيرت ظروف الشعراوي في الدراسة, وأصبح يذهب إلى قريته كل "خميس وجمعة" ويركب القطار صباح السبت بعد أن كان يقضي فترة كبيرة في الدراسة بعيدًا عن القرية, وفي الإجازة الأسبوعية يقضي الخميس والجمعة مع أهله, ويسافر مساء الجمعة كسائر الطلاب, أما بعد الزواج فقد تغير الحال وحدث أن جاء الشعراوي إلى المعهد يوم السبت متأخرًا, وكان شيخ المعهد يقف على الباب فحاول الشعراوي أن يتسلل إلى المعهد عن طريق السور, ولكن شيخ المعهد رآه فقال للعمال "هاتو الولد ده" وجاءوا بالشعراوي ليقف بين يدي شيخه, الذي قال له: لماذا تأخرت يا شعراوي, فقال لقد تأخر القطار يا شيخنا فقال له الشيخ: ولماذا لم تأت مساء الجمعة, كما يفعل زملائك فقال الشعراوي وقد خفض رأسه خجلاً لأنني متزوج, وأقضي مع -الجماعة- الخميس والجمعة, فضحك الشيخ وقال: والزواج حلو يا شعراوي , فخشي الشعراوي أن يقول له إنه حلو فيقول عنه إنه "قليل الأدب" فقال: والله ده قلة قيمة, وانصرف الشعراوي بإذن شيخه, وانقضى اليوم الدراسي, وفي اليوم التالي استوقف شيخ المعهد الشعراوي وقال له قلت بالأمس أن الزواج "قلة

قيمة" وكررها الشيخ فاجتمع بعض المدرسين, وسألوا الشيخ ماذا حدث فقال سألت الشعراوي بالأمس عن الزواج فقال إنه قلة قيمة, فلما ذهبت إلى البيت وجدته فعلاً قلة قيمة...!

الشعراوي و الشعر

ذكرنا من قبل أن الشعراوي كان يتمتع بموهبة أدبية كبيرة فقد كان خطيبًا مفوهًا, وكذلك كان شاعرًا يعبر بشعره عن مشاعر وطنه وواقع مجتمعه, ولعل تلك الحيل التي اعتاد عليها في صباه وخفة ظله التي لازمته كان لها كبير الأثر في بناء شخصية حرة. لا تتقيد بقيود, ولا تخشى في الله لومة لائم, وكان صوته من عقله, ولذلك كان لا يستطيع أن يرى خطأ ويسكت عليه.

ووجد الشيخ في الشعر ميدانًا رحبًا للتعبير عن رأيه في كثير من الأمور والأشياء من حوله, وحدث أن ذهب الشعراوي إلى القاهرة في عام ١٩٣٦م لزيارة أحد أصدقائه في حي بولاق الدكرور, وفي الطريق إليه مر بشارع عماد الدين ولم يكن يعلم أنه شارع الملاهي والنوادي "المسخرة الليلية", فنفر من هذا الشيخ نفورًا مما دفعه إلى كتابة تلك الكلمات:

وأعظم الظلم بعد الشرك منزلة
أن يُظلم اسم "بمسمى" ضِدُّه جُعِلَ
فشارع كعماد الدين تسميته
لكنه لفساد الدين قَد جُعِلَ

ولم تناقش قصائد الشيخ القضايا الاجتماعية فقط, بل تطرقت إلى نقد كل ما يراه الشيخ مخالفًا للحق, حتى لو كان ذلك في نظام الحكم, وحتى لو كلفته كلماته الكثير, لأن همه في المقام الأول قضيته التي يدافع عنها, ولقد

نشرت له جريدة الجهاد التي كانت توزع بشكل جيد... نشرت للشيخ قصيدة طويلة يعترض فيها على القبض على أصحاب الفكر والرأي ومساواتهم باللصوص والمجرمين.. قال فيها:

سِرْ إلى السجن واذْهَبْ بِي إلى الهُوُنِ
فإنْي لِمَصـــيريِ غير محزون
فما أُعْتُقِلْتُ لجرمٍ نـال من شرفي
لكنني بالمعاني جـــد مفتون
فسر بمثلي لبيت جـــاءَ سَاكِنَهُ
كَبَاَئِرَ الإثْمِ بالأوغـــاد مَشْحُونٍ
فَهَل تُسَوْى بِهِ نَفْسٌ لـــهَا أَمَلٌ
شَتَانَ مَا بَيْ فَتَـــانٍ وَمَفْتُونِ
الصبر يا والــدي عهدي به رجلاً
لـه في الخَطْبِ رَأْيٌ غيْرَ مأفــونٍ
وطب شـــقيقي فؤادًا فخـــرًا
قد كنت بالسجن لكن ليس مسجونً

وأصبحت هذه القصيدة مستندًا رسميًا ضد الشعراوي وذريعة للقبض عليه, ولم يخشى الشعراوي شيئًا ولم ينكر نسبة هذه الكلمات إليه, قال

للمأمور أثناء مناقشته له: "إننا نعيش في أمة يعمل فيها بوليس جاهل, يسوي بيننا وبين اللصوص وهذه كارثة" وبالطبع كان هذا الكلام دليلاً أخر لإدانة الشيخ من وجهة نظرهم وكانت النتيجة قضاء الشعراوي لثلاثين يوما بين جدران السجن...

ولم تنطفئ جذوة الشعر لدى الشعراوي بعد إكماله الدراسة الثانوية, التي ابتدئها عام ١٩٣٢م, بل ظل شعره قلمًا للناس لا يقصف وضميرهم اليقظ, وتحتفظ ذاكرة الناس بقصيدة رائعة للشيخ, يعيب فيها على الفتيات المسلمات انسياقهن في تيار المدنية الغربية دون وعي وتقليدهم الأعمى دون تقدير للأمور.

وذلك ضمن مسابقة شعرية, نظمتها الشئون الاجتماعية عام ١٩٤٩م يقول فيها:

قصرت أكمام وشلت ذيولاً

هلا رحمت إهابك المصقولاً

أسئمت من برد الشتاء سجونه

فطلبت تحرير المصيف عجولاً

وخطرت تحت غلاله شفافه

في فتنة تدع الحليم جهولاً

محبوكة لصقت بجسم مشرق

دفعته فورته فبان فصولا

هل قصر الخذان في جلب الهوى

أوكان طرفك في الطعان كسولا

حتى استعنت على القلوب بمغمدٍ

وجعلت جسمك كله ملــــولا

ألحت في عرض الجمـــال وغرك

الإغرار ولما أسمعوك فضــــولاً

من نال منك الرضا فأنت هــلاكه

ومن انتهرت قسيى فكان عـزولاً

شاهدتُ ضليلاً يطارد غـــادة

فهوته حنقا فقال خجــــولاً

أبغى الزواج به.. فقلت مداعبًـــا

هل باب وليها مقــــفولاً؟!

قل للفتاة الغر هـــــذا حبـه

أن بات ملتاعا وذاب ميــــولاً

يلقاك كالحمل الوديع مضـــللا

بأن تمكن منك أمسي غــــولاً

ولأن الشيخ جمع مقومات العالم الذي يضع يده على الجرح كـــالطبيب ويصف الدواء, فقد تحدث عن الجمال العفيف الطاهر, الذي خلقه الله تعالى

ورسم لـه الطريـق الصحيـح, وأمرنـا بطلبـه بطهـر وعفـاف, نصت عليهمـا شريعته وفي ذلك يقول:

سبحانه من خلق الجمال والانهزام لسطوته

ولذلك يأمرنـا بغض الطرف عـنه لرحمته

من شاء يطلبه فلا إلا بطهر شريــعته

وبذا يدوم لنا التمتع ها هنا وبجـــنته

وطنية الشعراوي

البعض يعرف الوطنية أغانٍ تردد في المناسبات وأصوات بالشعارات تعلوا, أما الوطنية التي عرفها الشعراوي في ممارسة العمل الوطني حتى لو لم يأخذ طريقه في الدعوة إلى الله, يصلح أن يكون زعيمًا وطنيًا كبيرًا, ولعل قصيدته السابق ذكرها والتي سجن الشيخ على أثرها شهرًا وأنتخبه الطلاب في معهد الزقازيق رئيسًا لاتحاد الطلاب بالمعهد, ثم أنتخب بعد ذلك رئيسا لاتحاد طلبة المدارس الثانوية في محافظة الشرقية, وكان هذا الاتحاد يسعى جاهدًا للمطالبة بالحرية والاستقلال.

وفي عام ١٩٣٤م قامت ثورة عارمة في الأزهر, وبالطبع كان الشعراوي أحد زعماء الحركة الطلابية التي شاركت في الثورة بسبب تصريح -هور- وكان القبض على رؤوس الحركة الطلابية أمرًا ضروريًا لإخماد هذه الحركة, ومن ثم بات الشعراوي من المغضوب عليهم والمطلوب القبض عليه, وبذل زملاء الشعراوي مجهودًا ضخمًا في الحيلولة دون القبض علي زعيمهم, فقد كان الضباط يندسون وسط الطلاب فينادي الضابط: يا شيخ شعراوي فيلفت أحد زملاء الشعراوي -بالإتفاق معه- فيتم القبض عليه على أنه الشعراوي, إلى أن هاجم البوليس بيت الشيخ وتم اعتقاله مرة أخرى وحبسه شهرًا.

ولم تخمد ثورة الشعراوي للمطالبة بالحرية المشروعة لشعب يستحقها, ولكم كانت سعادته غامرة في ذلك الصباح السعيد, عندما أيقظه أحد

الأصدقاء, وفي الإسكندرية صباح يوم ١٩٥٢/٧/٢٣م: "قوم يا شيخ شعراوي الثورة قامت" فراح الشعراوي يشارك جموع الشعب فرحة الانتصار والعمل تحت مظلة الحكم الوطني, وألهبت الثورة شاعريته فراح يقول:

أُحَيِيها ثورة كالنار عارمة

ومصر بيْنَ مَحُورٍ ومُرتَقَبِ

شَقَتْ تُوزَعُ بِالقِس!طاسِ جَدْوَتها

فالشعب للنور والطغيان للهبِ

وكان حزن الشيخ الشعراوي شديدًا يوم أن سمع بخبر -النكسة- في عام ١٩٦٧م وكان وقتها رئيسًا لبعثة الأزهر بالجزائر, وكانت صدمة الشيخ الكبيرة حتى أنه لم يعبأ بما حوله حيث كان رد فعل الجزائريين هو مقاطعة المصريين الموجوديين في الجزائر حتى جاء سفيرنا في ذلك الوقت في الجزائر وشرح لهم أسباب النكسة, ولكن ذلك كله لم يكن هم الشيخ, بل همه كله هو في كيفية إخراج البلاد من هذه المحنة التي عصفت بكيانها, وأن يخلع عنها تلك العباءة السوداء التي لبستها عدة سنوات, حتى جاء يوم النصر في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م, واستقبل الشيخ الخبر بسعادة غامرة وسجد لله شكرًا بأرض الله الحرام, حيث كان في مكة المكرمة في ذلك الوقت.

أخطاء على الطريق

أن الله أختاره ليكون إمامًا وعلامة على طريق الدعوة إليه وحباه بشرف تفسير كتابه الكريم, فقد جمعت شخصية الشعراوي المقومات التي تمكن من اعتلاء هذا العرش في قلوب الملايين من المسلمين.

ومن بين هذه المقومات : عدم التحرج من الاعتراف بالخطأ, لما أرجع أهل السير قوة إيمان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقربه ومنزلته عند ربه إلى صراحته مع نفسه وإعترافه بالخطأ على الملأ دون تحرج, كما حدث مع المرأة التي راجعته في أمر الصداق, فلم يتحرج عمر من قوله : " أصابت امرأة وأخطأ عمر, كل الناس أفقه منك ياعمر".

وجميل أن يتحلى الخلف بأخلاق السلف, فقد كان الشعراوي يحصي أخطاءه ويذكرها في مقام النصح والإرشاد والاعتراف بأن ابن آدم يخطأ ويصيب, ولا يزال الشعراوي يذكر نفسه بهذا الموقف الذي أخطأ فيه وتعلم منه, فقد كانت له ابنة عمه تقيم معهم في البيت, ورآها الصغير **محمد** ذات يوم من أيام رمضان تشرب من الزير, فغضب غضبًا شديدًا وقال لها رمضان حيبطحك. وخاصمها, ولم يعد يكلمها ولما رأت أم **محمد** أن علاقته بابنة عمته غير طبيعية, سألته فقص عليها القصص فابتسمت الأم شاكرة الله تعالى على حس ولدها الديني المبكر, وقالت له: "بأنك مازلت صغيرًا, ولا تعرف أن هناك أمورًا تستوجب من المرأة الافطار, فهي عندها عذر شرعي" وكبر الصغير وعرف معنى العذر الشرعي وعاتب نفسه على ظنه السوء في

أبنة عمته, والذي كان عدم علمه بالحكم الشرعي سببًا فيه, ومن الأمور التي أعدها الشعراوي أخطاء في حياته علاقته بالتدخين, والتي بدأت دون قصد للمخالفة الشرعية منه "عام ١٩٤٧م" عندما أنتشر وباء الكوليرا في مصر وساد بين الناس اعتقاد بأن البصل والتدخين يحميان من الكوليرا, فأقبل عليها الشيخ بعزيمة من يريد النجاة من البلاء فأكل البصل وشرب الدخان, وانتهت الكوليرا من مصر, ولم يتوقف الشيخ عن التدخين الذي أتعبه كثيرًا حتى توقف عن هذه العادة القاتلة, ولكن بعد أن تركت وراءها الأمراض التي تسللت إلى صدره مسببة له الآلام التي أنتهت بالربو... ومع أن هذه الأمور لا يعتبرها الكثير أخطاء, حيث لم يكن فيه عمد لإرادة السوء, إلا أن صدورها عن الشيخ آلمه كثيرًا وكثيرًا ما كان يذكرها وعدها أخطاء على الطريق....

على طريق الدعوة إلى الله

أنتشل الشعراوي نفسه من غمار الأحداث السياسية الساخنة وزعامته لاتحاد طلاب المدارس الثانوية بالشرقية ليقف مع نفسه وقفة هل هو يريد نفسه زعيمًا سياسيًا, وهل الناس في حاجة إلى زعيم يطالب بحقوقهم فحسب, أم أن الأمر أكبر من ذلك. هل التحرير من بطش المستعمر هو جل ما يحتاجه الناس, أم أنهم في حاجة لأن يتغير الكثير من المفاهيم والمبادئ التي سادت في المجتمع على خلاف ما أصلته القيم الاجتماعية في الإسلام, وراح الشعراوي يسأل نفسه: هل الناس في حاجة إلى زعيم سياسي, أم إلى رجل يقودهم إلى الطريق الحق إلى الله, التي متى عرفوه سمت غايتهم من الدنيا, وارتفع شأنهم بين الناس, ثم سأل نفسه السؤال الأكثر أهمية: أي من الدورين يستطيع هو القيام به, فكان الجواب بكل حواسه هو الطريق إلى الله, ولكن من أين تكون البداية لفك رموز هذا الكون والإجابة عن عديد من التساؤلات التي تدور بخلد الناس وخلد الشيخ -كيف يعيش الخادم ويبقى ويموت المخدوم؟! فالشمس والقمر والشجر والدواب مسخرون لخدمة الإنسان وتلك الأشياء تبقى ويموت الإنسان!! وأخذت تلك القضايا وغيرها الشيخ الجليل إلى طريق واحد, حيث علم أن بداية الانطلاقة الحقيقية هي كتاب الله فعكف على دراسته وعلمًا ينتظر موعد الإعلان عن هذا العلم, الذي أقترب نضجه في عقل هذا الرجل, وتخرج الشعراوي في كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤٣م وخاض الشيخ غمار ميدان العمل حتى

عام ١٩٥٠م فعمل في هذه الفترة مدرسًا بمعاهد طنطا والزقازيق والإسكندرية, وراح يؤسس خلال هذه الفترة أفكاره التي تبناها في المضي في الطريق إلى الدعوة الصحيحة, وربى في تلاميذه كيفية تحمل أمانة الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة بين أفراد المجتمع, ويصور لنا هذه العلاقة بين الشعراوي المعلم وأبنائه التلاميذ, أحد تلامذته الذين تربوا على يده في معهد طنطا, وهو الدكتور عبد الله عبد الشكور, الذي يقول: لحقت بدروس شيخي الشعراوي في تاريخ الأدب, فرأيته رقيق الكلمة نقي العبارة رائع الإلقاء تسمعه فإذا به نبع يفيض وأدب جميل, وتصوير يجعلك مع الشيخ في لقاء تحمد فيه فرصة العمر مع الأديب الشيخ, الذي هيأ الله تعالى له كل وسائل البيان وكل عذوبة القول, وكان إذا دخل الدرس لم يعد بمقدور طالب أن يهمس بصوت أو ينشغل بشئ غير صوت الشيخ الذي يفيض إحساسًا وبلاغة وعزوبة وجمالاً وعلمًا ومعارف تفيض ولا تغيض أبدًا... أحب تلاميذه والتفوا حوله فينصتون إليه ويقتدون به ويتعجبون من تحلق في سماء كل فنون العلم, وتلتهب مشاعرهم بوطنيته وكم كان حريصًا على أن يودع في أبنائه مقولة طالما كررها "الإنسان موقف والمرء كرامة".. وهكذا أمضى الشيخ بين أبناءه ذواقًا للكلمة, فارسًا للعبارة, أنيق الرداء, سمحًا إذا قال, وسمحًا إذا أجاب, لا ينافق برأيه ولا يجامل في حكمه مع تواضع رفعه وعلم أبقى ذكره.

وفي عام ١٩٥٠م أعير الشيخ الشعراوي إلى المملكة العربية السعودية وعمل هناك مدرسًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة, وكان للشيخ عديد من المواقف هناك نبهت الكثيرين إلى علة الرجل وشدة حرصه على مقدسات الإسلام, وحدث أن وصل إلى مسامع الشيخ أنهم سوف يغيرون مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام مع إعطائه شكل آخر جديدًا بالكعبة, فأصر الشيخ على إرسال برقية للملك, فقال له بعض الناس: "إنت لسه جاي من السفر وهاتبعت برقية" قال لهم نعم, وكانت البرقية من صفحتين كاملتين, وكانت البرقية تتكلف (٥٠٠ ريال) من مكة للرياض, وشرح كل شئ للملك عن حرمة المقدسات وضرورة بقاء كل شئ في الحرم, كما هو لأنه نسك من المناسك, ومضى الشعراوي في عمله بالسعودية, وتحققت رؤية والدته حينما كان يشكو قسوة العيش وقلة الوارد فرأت في المنام أنه يحمل قفة فلوس وتمضي الأيام لتحقق هذه الرؤيا, حينما تسافر والدة الشعراوي للحج أثناء الإعارة, وكانت السعودية في ذلك الوقت تتعامل بالنقد الحجري "الذهب والفضة" وكان كل مبعوث من الأزهر يتقاضى مرتب ثلاثة شهور دفعة واحدة, وكان المرتب ثلاثة أضعاف المرتب الذي كان يحصل عليه الشعراوي في مصر, وصرف الشيخ المرتب ووضعه في "شيكاره" لكن "الشيال" جاء وفضى الفضة من الشيكاره ووضعها في قفة وحملها مع الشيخ إلى منزله, فوضع الشعراوي القفة أمام والدته, وقال لها: فاكرة يا أمي حلمك بأني شايل قفة فلوس, عندما رأيتني زهقان من المعيشة

وقسـوتها؟! وتذكـرت الأم حلمهـا وفرحـت لأبنهـا فرحًـا شـديدًا, ويعـود الشعراوي إلى مصـر, ليعيـش مـع شعبها عصـر الثـورة والاسـتقلال ويحـاول التعايش مع متـغيرات الحيـاه الجديدة والأسلوب الذي فرض لخدمة منهجه في الدعوة إلى الله, ويعين الشيخ وكيـلاً لمعهـد طنطـا عـام ١٩٦٠م , ثـم يـترك حقل التعليم الحكومي إلى ميدان أرحـب فيـه طـلاب العلـم والمعرفـة, ويعـين الشيخ مديرًا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م, ثم مفتشًا للعلـوم العربيـة بالأزهر عـام ١٩٦٢م.. واصبـح لـلرجل صيـت وشـهرة واسـعة بـين طلابـه وأقرانه في العمل بالأزهـر والأوقاف حتـى أصبـح مـن علمـاء الأزهـر الذيـن ينظر إليهم بعين الاعتبار, ومع تلاحق الأحـداث السياسية التي لم يقحم نفسه فيها, وفي الوقت ذاته لم يبعد نفسه عن فهم الأمور من حوله وتطوراتهـا لأن ذلك جزء من رسالته كداعـية يريد الإسلام دعـوة شـاملة غـير مجزئـة, لكـن يبدو أن السياسة لم تستطع التملص من أمومة الدين لهـا, فالسياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها من مجالات في المجتمع هي أجزاء من كل هو الدين ....

الشعراوي و نجيب

لم يكن الشعراوي قد التقى به من قبل, وإن كان يعرف عنه مالا يعرفه الكثيرون, ولم يتوقع يومًا أن يأتيه خادم, منزله يوقظه من النوم ليقول أن رجلاً اسمه "محمد نجيب" وأنه كان رئيسًا للجمهورية يريد مقابلته, وأنصت الشيخ برهة يسأل نفسه هل فعلاً محمد نجيب بالخارج يريد مقابلتي... ولماذا أتى؟! ثم قال للحارس: قل له تفضل, ودار في رأس الشعراوي عديد من الأسئلة, قبل أن يجد محمد نجيب يقف بين يديه, وعلى وجهه أثار سنوات معتقله, ورغم ذلك تحلى وجه الرجل بهدوء غريب واستكانة لم يرها الشيخ من قبل في وجه رجل خدم في الجيش والسلطة. وتوقع الشيخ حديثًا عن السلطة وسنوات القهر, التي عاشها في ظروف بالغة القسوة, وكيف تحول من لواء قدم نفسه فداء للوطن, ثم حدث ما حدث ولكن دار الحديث على خلاف ما توقع الشيخ في أمور الدين والفقه على مدار أربع ساعات لم يتطرق فيها إلى الحديث عن السياسة قط, وكأنه لم يقرأ عنها ولا يعرف ماذا تعني هذه الكلمة, بل كان كلامه أقرب إلى الصوفية, ثم انصرف لصلاة المغرب في مسجد "الحسين" فظهر تأثر الرجل الشديد بالزهد والميل إلى الدين, وبرهن على ذلك بصبره وتحمله لهذا التغير الكبير في حياته من "رئيس" إلى "سجين" وظن الشعراوي أن هذا هو اللقاء الأول والأخير له مع نجيب, ولكنه فوجئ بعد ذلك بيومين بزيارة أخرى لمحمد نجيب, وكان عن في هذه المرة بصحبة بعض الأصدقاء وتعددت اللقاءات, ولم يتنازل نجيب عن نهجه

الذي رسمه لحياته منذ عهد الشعراوي به حتى أن بعض الجلساء سأله يومًا عن واقعة ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٤م, والتي انتقل فيها محمد نجيب من قصر عابدين إلى حيث أمضى سبعة عشر عامًا معزولاً عن الناس والدنيا, وكان نجيب من ذلك النوع من الناس الذي أحبهم الشعراوي لتحملهم وصبرهم بإيمان في المحن, ولأنهم احترموا قدر الله فيهم فاحتسبوا ذلك عنده, وتلك من فوائد الإيمان.

منهجه في الدعوة

كان الشعراوي من هؤلاء القلائل الذين عرفوا الطريق إلى قلوب الناس, فأثروا في الناس بكلماتهم وفعالهم, فكان الشعراوي لا يسلك هذا المسلك التقليدي في الدعوة فإذا رأى تهاونًا من أحد عنفه وذكره بالعقاب والنار والعذاب؛ حتى يدخله النار ويشعره بلهيبها وهو لا يزال يحيي بين الناس, بل كان يدخل الناس من حيث يعشقون ويحبون ثم يبين لهم مواطن الجمال في هذا الأمر والتي وضحها الإسلام, وكيف أننا نسيئ لها بإبعادها عن هذه المقاصد في عبارة جزلة وأسلوب آخاذ وابتسامة لا تفارقه, وحرص على تطبيق ما يقول قبل أن ينطق به... ويذكر سامي الشعراوي نجل الشيخ أنه ذهب -وهو في الخامسة عشرة من عمره- مع والده إلى أحد الأصدقاء, وكان لهذا الصديق أولاد قبل سن "سامي" الذي انخرط في اللعب معهم, وفجأة دخل عليهم صديق والده ليطلب من أولاده أن يأتوا ويسلموا على الشيخ, فرفض الأولاد خشية أن يحدثهم في أمور الدين وترك اللعب والانتباه للمذاكرة كما يفعل الكبار, ولكن الرجل نهرهم بشدة لمخالفته, وخرج غاضبًا وتوقفت وصلة اللعب, لتبدأ وصلة أخرى من "النكد" إلا أن الشعراوي بذكاء شديد بعد أن وصلت إلى مسامعه أطراف الحديث الذي ارتفع به صوت صاحبه, ذهب الشعراوي بنفسه إلى الأولاد الذي فوجئوا به أمامهم وانتابهم علامات الخجل التي ظهرت على وجوههم وألسنتهم التي تلعثمت فانطلق الشيخ يرفع الحرج, ويسلم عليهم واحدًا واحدًا, ثم أطلق مفاجأة جعلتهم جميعًا ينظر

بعضهم إلى بعض مندهشًا, حين قال: أريد أن أجلس معكم بعد أن أرهقني هؤلاء الشيوخ بأسئلتهم الكثيرة, ثم نظر إليهم وقال حد فيكم يعرف قافية, فقال له أحدهم ضاحكًا تدخل لي قافية فقال الشيخ : أدخلك, بل أنتم جميعًا تدخلون لي قافية, وظل الشيخ يرد على الشباب بقفشات لمدة طويلة, دخل فيها إلى قلوبهم, واتخذ لنفسه مكانًا بداخلها, وقام الشيخ لصلاة العشاء فأنتظم الشباب خلفه في الصف, و لم يتركوا له مجلسًا يعلمون أنه فيه بعد ذلك... ويمضي الشعراوي في سبيله لتقويم المجتمع فيحاول تصحيح بعض المفاهيم عن بعض المهن والأعمال, التي ساء البعض إليها, فنظروا إليها نظرة لا تليق بها, فورث البعض بطالة مقنعة, أثرت على نهضة أمة, تحاول الوقوف بين مصاف الأمم...

ويسأل الشعراوي ماسح الأحذية الذي ذهب إليه ذات مرة... لماذا تعمل في هذه المهنة, والمثل الشائع يقول :"أرفع رأسك يا أخي.

فقال الرجل: الخواجة يني هو الذي قال ذلك... منه لله.. جعلنا مسخرة, فقال الشعراوي: ومن أين أتى بها الخواجة يني؟!

قال الرجل: لا أعرف؛ فقال الشعراوي أنت لم تعرف من أين أتي به "يني", ولكني أقول لك: إنه أتى بها من مصتع, غير المصنع الذي صنع لك قطعة القطيفة التي تستخدمها في تلميع الأحذية, والمصنع الذي صنعها غير الفلاح الذي زرع القطن, وغير المصنع الذي غزل؛ فكل هؤلاء مسخرة لك حتى تؤدي عملك, فمجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان فالمحصلة

في النهاية واحدة, والفرق الوحيد بين الناس في التقوى, وفي من يؤدي عمله أفضل. ولكن لا أحد يفهم ذلك؟!

ويريد الشيخ أن يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح, ويرشد كل إنسان إلى موضعه... إلى إرادة الله له في المجتمع؛ فلا يجور أحد على أحد ولا يستكثر أحد على أحد مكانته أو منصبه, سواء أكان ذلك بين الأفراد أم بين الجنسين: الرجل والمرأة؛ فالأفكار التي نادت بالمساواة بين الرجل والمرأة والتي استقتها المرأة العربية من معين لم يتشبع بالثقافة الإسلامية؛ مما جعلها تصف بعض المهن التي توكل للمرأة في مجتمعنا العربي على أنها مهن ضعيفة, وإن الإسلام لم ينصفها في ذلك, وسألت سيدة عربية الشعراوي ذات يوم: هل تصلح المرأة أن تكون قاضية؟

وهل هناك في القرآن والسنة ما يمنع أن تتولى المرأة منصب القضاء؟

فقابل الشيخ حماس السائلة البادي في كلامها بقوله" إذا كنا لا نمنع المرأة من الفتوى. فلا يمكن أن نمنعها من القضاء.... ولكن... لنفرض أن المرأة أصبحت قاضية وأتى شاب محكوم عليه بالإعدام وشكله جميل ووجيه الهيئة ماذا يمكن أن يحدث؟

أو جاءت فتاة قاتلة ومعها طفلها الصغير.... الحكم يكون للعاطفة أولاً, والقرآن يقول أن تضل أحدهما فتذكر إحداهما الأخرى "بمعنى أن عقلية المرأة غير مكتملة الإحاطة في هذه الجزئية؛ لأنها مكتملة في جزئية أخرى, فالمشكلة ليست مشكلة قصور عقلي , بل قضية ضرورة أن يكون من يجلس

في مجلس القضاء قادرًا على أن يتحكم في عواطفه حتى يصدر الحكم, والمرأة إن خلا تكوينها من هذه العاطفة لا تصلح أن تكون امرأة لأنها تقوم بأطول مهمة في الدنيا, وهي تربية أبنائها فترة الطفولة والتي تستلزم عطاءًا لا ينقطع من الود والرعاية؛ فتكوينها العاطفي مصمم لتحقق هذا الهدف.

وهكذا كان الشعراوي يستطيع أن يحول المعارض إلى مؤيد بأسلوبه وإقناعه بالحجة والدليل يرجحان ما يقول.... وكذلك فعل مع صاحب قوة "دقادوس الأصل" ضاقت به الحالة فأشار عليه البعض بالاتجار في المخدرات كحل لأزمته, ودون تفكير ذهب الرجل لزوجته يعرض عليها الفكرة, وأنه قرر جلب "الحشيش" وبيعه وكانت امرأته ذات ضمير يقظ, فقالت له إنها تجارة حرام, فقال لها بل ليس حرامًا, ولما وجدت المرأة إصرار زوجها على الخروج من أزمته بأي طريق كان ..

قالت إذًا اذهب إلى الشيخ الشعراوي, واسأله هل الحشيش حرام أم لا, وهل هناك ضرورة تبيح بيعه والاتجار فيه فذهب الرجل إلى الشيخ على استحياء, وعدم اقتناع بما ذهب به وقص على الشيخ ما كان بينه وبين زوجته, فتناقش معه الشيخ في إيجاد طريق آخر لحل أزمته المالية غير هذا الطريق.

ولكن الرجل أصر على هذا الطريق حيث الربح السريع والمؤكد, وأمام هذا الإصرار رأى الشعراوي أن يعالج الأمر بحكمته المعهودة, فقال للرجل تعالى نحسب ما ينفقه المدمن على شراء المخدرات, وفي النهاية وجد

الرجل أن أي مرتب أو دخل يمكن أن ينفق في أربعة أو خمسة أيام وتظل الأسرة باقي الشهر تعاني الاحتياج؛ فاقتنع الرجل من خلال هذا الحوار بسوء هذا المسلك, وعزم على عدم التفكير في هذا الأمر مرة أخرى.

وكان في جيبه قطعة "حشيش" فألقاها على الأرض و "داس" عليها بقدميه. ولم يمنع المرض الذي داهم الشيخ في أخر حياته أن يكمل هذه المسيرة, وأن يسير على ذات الدرب.

فما أن علم بقصة "نانيس سلامة" شهيدة مدينة نصر, التي قتلت مع طفليها بواسطة عمال شقتها حادثة بشعة, وكان الشيخ وقتها يتناول الطعام, -كان الشيخ رقيقًا سريع التأثر- فلم يستطع إكمال طعامه وطلب من أسرته أن يتعاونوا معه في معرفة عنوان هذه الأسرة, ولكن الأزمة داهمته فنقل إلى المستشفى, وما أن خرج منها حتى أعاد سؤاله مرة أخرى, وفي هذه المرة كان أحد من جاءوا للاطمئنان عليه يعرف عنوان الأسرة, فذهب الشعراوي -رغم حالته الصحية- إلى منزل الأسرة الذي خيم عليه الحزن, وكانت مفاجأة كبيرة لهم أن الشيخ الجليل في بيتهم, وطلب الشيخ من زوج "نانيس" ووالدتها وحدثهما في الصبر على قضاء الله, وعبر عن سعادته عندما رأى أفراد الأسرة لا يرتدون الثياب السوداء, فقال إنه سعيد لأنه لأول مرة في حياته يتوجه للعزاء لبعض من الناس من لا يستقبلون قضاء الله بالسواد, وكرر الشيخ الزيارة بعد أسبوع, وفي هذه المرة ازدحمت شقة الأسرة بالجيران والأحباب الذين سعدوا بالشيخ وبالحديث معه مدار ثلاث

ساعات, ثم أوصى الأسرة بكتابة هذا الدعـاء وترديـده كثـيرًا "أحمـدك ربـي على كل قضائك وجميع قدرك, حمد الرضا بحلمك واليقين بحكمتك"..

الإذاعة و التليفزيون

دخل الشعراوي الإذاعة والتليفزيون لأول مرة عام ١٩٥٠م, وكان يكتب في ذلك الوقت حديثين كل أسبوع, يعطي أحدهما لأحد رؤسائه ليقرأه أمام الميكرفون ويتقاضى هذا الرئيس عشرة جنيهات, أما الحديث الثاني, يلقيه الشعراوي بنفسه مقابل ١٧٠ قرشًا تصرفها لها الإذاعة, وبعد خمسة أسابيع جاء في تقرير عنه أن صوته "غير ميكرفوني" ولا يصلح لإلقاء الأحاديث, وعليه فقد أوقفت الإذاعة التعامل معه, حيث قالوا: إن علم الشيخ جيد... لكن صوته غير إذاعي...

أما دخوله مبنى الإذاعة والتليفزيون للتسجيل في برنامج تليفزيوني فقد كان من خلال برنامج "نور على نور", الذي كان يعده ويقدمه الإذاعي الكبير أحمد فراج, الذي كان يتردد على مكتب الشيخ مأمون شيخ الأزهر, وفي إحدى المرات دار بينه وبين مدير مكتبه في ذلك الوقت "الشيخ الشعراوي" الذي عمل مديرًا لمكتب شيخ الأزهر, الشيخ حسن مأمون عام ١٩٦٤م ومن خلال الحوار تبين -أحمد فراج- أن الشعراوي عالم متمكن واسع الإطلاع, فأعجب بعلمه وبقدرته على الإقناع فاتفق معه على الظهور في حلقة من برنامجه, ولاقت هذه الحلقة صدى طيبًا عند الناس, فاصبح الناس يحدث بعضهم بعضًا لقد استضاف برنامج "نور على نور" شيخًا يدعى الشعراوي, أسلوبه رائع يقول كذا وكذا... ولكن هذا الود الذي نسج الشيخ أول خيوطه مع الناس لم يتصل, فقد سافر مرة أخرى

للسعودية لمدة سنوات أربع, عاد بعدها ليمثل الجيل الرابع من الدعاة, والذين برز بينهم الشيخ بأسلوبه القريب من الناس, وأصبح التليفزيون وسيطًا بين الناس والشيخ الذين أحبهم وأحبوه, فهو نوع فريد من الدعاة لم يشاهدوه من قبل, يجعلك تضحك من القلب, وتنظر للحوادث من حولك بعين الاعتبار, وتقف وقفة إجلال أمام قدرة الله وتصريفه لشئون كونه, هو واحد من الناس, لم يشعروا قط بالغربة في الاستماع فالشيخ يتحرك بيده وجذعه ويميل بمرفقيه, وصوته يعبر عن انفعالاته فهو يخشن ويرق ويعلو وينخفض, وكثيرًا ما خلط العامية بالفصحى, وحدث أن ألقى برنامج -نور على نور- وتم البحث عن مساحة أكبر تليق بعلم الشيخ وشعبيته التي تزداد يومًا بعد يوم, فوقع الاختيار على يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة, وكان اختيارا موفقًا فكان البرنامج يذاع يوم الجمعة, ويعاد يوم الاثنين كما يعاد يوم الثلاثاء على إذاعة القرآن الكريم, حتى يتمكن من لم يسمعه من سماعه واستطاع الشيخ أن يكون فردًا أساسيًا في كل بيت مصري, وجزءا لا يمكن الاستغناء عنه في برامج التليفزيون اليومية في رمضان, وضيفًا عزيزًا على كل مصري وعربي يأتين كل جمعة, وكل يوم في رمضان, فاستطاع ببساطة أسلوبه واختياره لألفاظه, وضربه الأمثال العامية المتداولة بين الناس أن يصل إلى مشاكل الناس اليومية, ويخفف عنهم معاناتهم, واستطاع أن يدخل اللغة العربية والعلم إلى "المطبخ" فأصبحت الكثيرات من النساء الريفيات اللاتي لم تتلقى قدرًا من التعليم تستمع للشيخ, وتعدل من مواعيد الطهي, لتتفرغ لسماع برنامج

الشيـخ الذي استطاع أن يجمع حوله المؤيدين والمعارضين, وسألت امرأة مـن هؤلاء اللاتي أخذن من العلم الديني من حلقات الشعراوي عن السبب الـذي جمع كل هذه القلوب حول هذا الرجل, مما جعل لـه هـذه الشـعبية الجارفـة, فقالت لي ببساطة ريفية شديدة "هذا الرجل أعطي الله فأعطاه الله"...

فعجبت لبلاغتها رغم قلة حظها من التعليم وقبل أن أسألها "أنّـى لـك ذلـك" فتذكرت ما قلته... فقلت لنفسي حقًا "يؤتي الحكمة من يشاء"..

الشعراوي ووزارة الأوقاف

اختاره ممدوح سالم رئيس الوزراء, وزيرًا للأوقاف في عام ١٩٧٧م, وافق الشعراوي أن يدخل الوزارة واشترط على رئيس الوزراء في حديث تليفزيوني ألا يصدر مجلس الوزراء قرارًا يخالف الشريعة الإسلامية, وقال له حرصًا على العمامة التي أحملها فوق رأسي والمصحف الذي أحمله في جيبي, ارجوا ألا يصدر مجلس الوزراء قرارًا يخالف روح الشريعة الإسلامية وأنا فيه, وظل الشيخ الشعراوي في الوزارة ثمانية عشر شهرًا حدث له فيها عديد من المواقف, كان في بعضها الشعراوي الذي عرفه الناس لا يخشى في الله لومة لائم, وكان في بعضها طريفًا يصور بساطة الرجل ونقائه, كان بعضه سببًا في طلبه الإعفاء من الوزارة....

عندما كان الشيخ مديرًا في وزارة الأوقاف, وجاء عليه الدور للترقي إلى درجة وكيل وزارة, كتب أحد المديرين في تقرير سري عن الشيخ أنه على علم وخلق ولكن لا يملك الكفاءة الإدارية التي تمكنه من إدارة وتولي مهام هذا المنصب, وتدور الأيام ويتقلد الشعراوي الوزارة, ويطلع على هذا التقرير السري, فيعين كاتبه وكيلاً لوزارة -وعندما تولي الشيخ مسئولية الوزارة كان قد أشيع أن سكرتير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية "محمد توفيق عويضة" هو الذي يعزل وزراء الأوقاف.

وقد حاول السكرتير أن يأخذ تفويضًا من الوزير الجديد فيما يخص الوزير من المهام, ولكن الشعراوي رفض هذا التدخل في شئونه, واعتبره

تعديًا لا مبرر له في عمله كوزير للأوقاف ولذلك طلب الشعراوي إلغاء هـذا التفويض, بالفعل تم إلغاؤه, حتى توضع النقاط فـوق الحـروف ويعـرف كـل حدود مسئولياته فيعمل من خلالها.

نادي الزمالك

من المواقف التي أتعبت الشعراوي كثيرًا اثناء عمله بالوزارة حيث كان هناك من ينتصر لقرارات كان من الواجب أن تأخذ اتجاهًا دينيًا, فقد كانت أرض نادي الزمالك بالقاهرة أرض أوقاف, وطالب الوزير الشعراوي بثمن الأرض حتى لا يهدر حق الواقف, وكرر الوزير طلبه وتشدد فيه حتى تأزم الموقف بين الوزارة والنادي, ووصل الأمر إلى الرئيس السادات الذي كان ينظر للموضوع بمنظار غير منظار وزيره الشعراوي, فقال له: موضوع نادي الزمالك لا تتشدد فيه وخلصه لهم؛ فقال له الشيخ: أعفني من هذا القرار, وكثرت محاولات الضغط على الشيخ في هذا القرار, وقيل له إن الرياضة تأخذ وضعًا في الدولة له صفة خاصة ولها جماهيرها العريضة.... وكل هذه الأشياء مؤثرة في الموضوع, ولكن الشيخ أصر على موقفه من إلزام النادي بثمن الأرض حفاظًا على حق الواقف؛ فصدر القرار بإعفاء نادي الزمالك من مستوى سياسي أعلى منه...

ومع معاناة الشيخ في اصطدامه بالواقع, الذي لم يمكنه من إدارة الوزارة بالكيفية التي كان يريدها, حيث كان يريد من خلال الجهاز الوزاري أن يوجه المسلمين الوجهة الصحيحة السليمة, وأراد أن يصنع من الجهاز الوزاري رجالاً يعشقون الدعوة, ويجيدون عرضها عرضًا مستنيرًا ولكنه فوجئ بأنه يسوس المسائل المتعلقة بالدين في دولة, يحتاج قانونها إلى كثير من المعرفة بالدين, وعلى الرغم من كل ذلك, فلم يكن على عداء مع صُنّاع

القرار, بل كان يحاول إقناع الجميع بالعمل في الوجهة "السليمة" التي يرتضيها الدين.

وخلال هذه المسيرة, وكما كان هناك عديد من المواقف الساخنة التي ذكرنا بعضها وسنذكر -بإذن الله- بعضها بعد حين, كانت هناك أيضًا مواقف طريفة حدثت للشيخ أثناء توليه الوزارة, فقد ذهب الشعراوي في رحلة إلى "روما" لكي يشارك في وضع حجر الأساس للمركز الإسلامي هناك, وكان كل من المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري, وتوفيق عبد الفتاح وزير التموين قد طلب من الشيخ قبل سفره- أن يشتري لكل واحد منهما زوجين من الأحذية الإيطالية, ذات لون بني وأسود, وسافر الشيخ وأدى مهمته في وضع حجر الأساس للمركز الإسلامي, واشترى الأحذية المطلوبة للوزيرين ولم ينسى نفسه أيضًا فاشترى لنفسه مثلما اشترى لهما, وعاد الشيخ إلى مصر, وأعطي لكل وزير حاجته, وتصادف أن كان اليوم التالي اجتماع للرئيس السادات بمجلس الوزراء, وكان السادات لماحًا يحب القفشات كما كان بعشق الشياكة, فدخل وزير الري مرتديًا حذائه الجديد, فقال السادات الذي لمح الحذاء في قدمه "الجذمة الشيك دي منين يا عبد العظيم" فرد الوزير: من مولانا الشيخ الشعراوي... اشتارها لي من ايطاليا. وبعد دقيقة دخل وزير التموين, ولاحظ السادات الحذاء البني, فسأله "إيه الحكاية؟ الجزمة الشيك دي منين يا توفيق, فرد الوزير قائلاً: من مولانا الشيخ الشعراوي اشتراها لي من ايطاليا, ثم دخل الشعراوي بعدها ليفاجأ

بأن السادات وكذلك الوزراء ينظرون إلى حذائه وليس إلى عمامته, ولم يكن الشعراوي قد لبس الحذاء الجديد فقال السادات: فين الجزمة الإيطالي يا مولانا, فضحك الوزراء وضحك الشعراوي وقال -شايلها في البيت علشان مقابلة الحكام... فضحك السادات طويلاً... وسأله السادات يومًا: هل صحيح أنك لا تقعد على مكتبك في الوزارة, وأنك تتركه وتجلس على كرسي بجوار الباب تستقبل الزوار وأصحاب الحاجات, فقال الشعراوي : ايو ياريس الكلام ده صحيح باقعد على كرسي "خيزران" فسأله السادات وليه يا شعراوي, فقال الشيخ علشان الباب قريب وساعة ماترفدوني "أجري واقول بافكيك" ويمضي الشعراوي بين ذلك وذاك "يقضي شهور وزارته القليل في محاولة تثبيت نهجه وإعلاء صوته؛ كانت له في سبيل ذلك معارك خاضها... وأعتبر البعض سياسة الشعراوي تشددًا, وكان الشيخ يصر على ما يراه حقًا ولا أحد يستطيع أن يثنيه عن رأيه, وإذا أغضبه أحد -وكان لا يغضب إلا لشئ يمس الإسلام بسوء- لم يشهر به, بل اكتفي بالإعراض عنه ليعلم الخاطئ بخطئه.

ورفض الشعراوي قانون الأحوال الشخصية الجديد لأنه كان يؤدي إلى نشوز الزوجات, ومشاكسة الأزواج, وتهديدهم بالطرد من الشقة في حالة الطلاق, لأن الشقة من حق الزوجة, وغضبت السيدة جيهان السادات لرفض الشيخ الموافقة على هذا القانون, ولم تكن تلك المرة الأولى التي يغضب فيها من السيدة جيهان السادات, فقد تكرر غضبه حينما دعته

بوصفه وزيرًا للأوقاف لإلقاء محاضرة في جمع من السيدات, فاشترط الشيخ أن تكون جميع السيدات محجبات, ولكنه لما ذهب إلى الندوة لم يجد امرأة واحدة محجبة, فغضب الشيخ كثيرًا وأرسل في طلب سائقه وسمعته السيدة جيهان السادات فجاءته تقول "حصل إيه يا شيخ شعراوي ", فقال لها: ماحصلشى حاجة!! بس حضرتك تقدري تقومي بالمهمة, وتخطي بدلاً مني وليس عليك حرج" وتركها وانصرف, وحضر الشعراوي عقد قران ابنة الرئيس السادات إلى ابن المهندس عثمان أحمد عثمان, وجاءت السيدة جيهان السادات, وقالت للشيخ: إذيك يا شيخ شعراوي, فقال الشيخ باقتضاب, ا لله يسلمك, فقالت وإذي ابنتك, فقال الشيخ كويسة, فقالت هي اللي لسة بتخدمك برضه, فقال: أيوه.

وأدرك الشيخ أن السيدة جيهان السادات تريد الدخول معه في حوار, فأراد أن يقطع عليها الطريق فقال لها وكان الرئيس السادات والمهندس عثمان يجلسان إلى جوار الشيخ حضرتك ما سألتنيش قدام الريس السؤال اللي ناقص. فقالت: إيه هو, فقال الشعراوي: عاملين أكل إيه النهارده" فضحك السادات وضحك عثمان وإبتعدت هي عن الشيخ....

وكما كانت للشيخ مواقف داخل الوزارة وخارجها كانت له مواقف أخرى لا تنتمي إلى عمله الوزاري, ولكنها تنتمي لفترة وجوده في الوزارة من هذه المواقف أنه قد ذهب مع شيخ الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود, إلى انجلترا لحضور مؤتمر بلندن, وبعد يومين من المؤتمر, قال شيخ الأزهر

للشعراوي: "عايزين بعد ما تنتهي من المؤتمر ده, نطلع نعمل عمره علشان "نجلي" أنفسنا, فقال الشعراوي: "وإيه يمنع "نجلي" أنفسنا وإحنا هنا". فقال الشيخ عبد الحليم محمود وهو يشير إلى حي قريب معروف في لندن بأنه حي استهتار ومجون: إننا نريد أن نجلي أنفسنا بعيدًا عن الحتة ذات "الرائحة النتنة" فقال الشعراوي بالعكس : "اللي يعبد ربنا في حتة "نتنة" مثل هذه يشوف تجليات, ويأخذ كل "فيوضات" هذه الحتة, فضحك الشيخ عبد الحليم محمود ضحكته ذات الوقار, وأمضى كل منهما ليلته في حجرته, وعند الفجر دق جرس التليفون في حجرة الشعراوي ليسمع صوت د/عبد الحليم محمود يقول: "يا شيخ شعراوي أنا رأيت الليلة سيدنا رسول الله ﷺ ..." وخرج الشعراوي بعد أن قضي ثمانية عشر شهرًا من وزارة الأوقاف, وكان قد طلب من رئيس الوزراء, ممدوح سالم أن يعتقه لوجه الله تعالى؛ فيضحك ويقول سوف نخرج منها معًا إن شاء الله.. وسئل الشعراوي: "لماذا قبلت منصب الوزير؟" فقال: قلبته لأني كنت خارج مصر, منذ عام ١٩٥١م, وبعيد عن الحكم والحاكمين, فحين وصلت فوجأت باستدعائي لهذا المنصب... سألت نفسي: مالذي جعلهم يفكرون فيّ؟" فإذا كان قد اختاروني, فهذا دليل على أنهم يقرأون الدفاتر ويختارون الناس إذا لا بد وأنهم يريدون القيام بعمل طبيب, ووجدتني إن لم أقبل, قد يقال إننا نطلب الناس الذين نتوسم فيهم الخير, ولكنهم يرفضون من أجل المال, فقد كان أجر الشيخ بالسعودية ٢٠٠٠ جنيه شهريًا, وراتبه كوزير ٢٥٠م جنيهًا, ولما

خرج من الوزارة سئل عن تلك الفترة التي قضاها وزيرًا, فقال: إن الذي أقلقني أثناء عملي بالوزارة, أني أحسست أننا أتعبنا من فوقنا وأتعبنا من تحتنا... أحسست أن هناك عملية تلفيق لعمل إسلامي في نظام وضعي, وهذا هو سر التعب... وعن رأيه لو عرضت عليه الوزارة مرة أخرى قال: "أقول لك المثل العامي... كفاني من الدست مغرفة".

الشعراوي ومشيخة الأزهر

حاول البعض الإيقاع بين الشعراوي والشيخ عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهر, وأوغروا صدر الشيخ من ناحية الشعراوي, وقالوا له إن الشيخ الشعراوي يسعى لأن يتولى مشيخة الأزهر بدلاً منك وغضب الشيخ بيصار, وعلم الشعراوي بما ترامى إلى مسامع الرجل, فقال الشعراوي للرجل على الملأ : "لست أريد مشيخة الأزهر, ولا أريدها, وحتى لا يتوهم البعض فإني أعاهد الله أبد أخلع الزي الأزهري, وفعلها الشعراوي –وهذا ما يفسر ظهوره بالجلابية والطاقية" دون العمامة والجبة والقفطان" حتى أخر حياته, وتأكد الشيخ بيصار براءة الشعراوي, فاتصل به تليفونيا وقال له: لعن الله كيد المكيدين...".

وعند احتضار شيخ الأزهر, طلب رؤية الشعراوي. وقال له: "يا شيخ شعراوي , فقال :"نعم يامولانا: فقال الشيخ بيصار سامحني" فقال الشعراوي : أنا لا أعرف لك في قلبي ذنبًا لأسامحك فيه" فقبله الشيخ وقبله الشعراوي في رسالة بليغة إلى كل من ساهم في إحداث هذه الوقيعة بين الشيخين.

ولما تولى دكتور فؤاد محيي الدين رئاسة الوزراء قال للرئيس السادات أثناء المناقشة على شخصية شيخ الأزهر, بعد وفاة الشيخ بيصار, فقال رئيس الوزراء: "إن الشيخ الشعراوي رفض مشيخة الأزهر ولم يكن دكتور فؤاد محيي الدين قد كلم الشعراوي في هذا الموضوع, وعندما سأل أحد الأصدقاء رئيس الوزراء لماذا قلت ذلك للسادات, على الرغم من أن الشعراوي لم يقل

ذلك. فقال دكتور محيي لازم أقول كده, لأن الشعراوي ما حدش يقدر عليه, فله شعبية لا نقدر عليها, ومنصب شيخ الأزهر حساس ومؤثر في الرأي العام, و لم يقع الاختيار على الشعراوي, الذي لم يقبل و لم يرفض مشيخة الأزهر.

الشعراوي و السادات

لم يكن الشعراوي على عداء مع الرئيس السادات, وإن تحفظ الشعراوي على بعض القرارات, التي اتخذها السادات, غير أن ذلك لم يمنعه من إعلان أن الرجل كان متدينًا, وكان يحافظ على الصلاة والصيام بانتظام,

وذات يوم اتصل رئيس المخابرات المصرية بالشيخ الشعراوي, الذي كان لا يزال وزيرًا, وقال له : "مطلوب منك يا مولانا أن تلقي محاضرة لضباط المخابرات, وأن ترد على أسئلتهم واستفساراتهم, وأن الرئيس السادات مهتم بهذه المحاضرة وهو الذي طلب ذلك, وطلب الرئيس أيضًا إعداد مكان للصلاة قريب من مكان المحاضرة, وأكد السادات على أن تبدأ المحاضرة قبل صلاة المغرب, وتستكمل بعد الصلاة, بحيث تقع الصلاة أثناء المحاضرة...

وكانت محاضرة ساخنة, أشار فيها الشعراوي إلى أن المخابرات شرعية وهو يرجوا أن تكون المخابرات استدلالاً وليس استغلالا ولا إستذلالا, فمشروعية هذا العمل أنه وسيلة الحفاظ على الاستقرار, وسيلة للتحرص من العدو. ولكن دون أن تتزيد في ذلك تزيدًا يشبع شهوات النفس.

وقد شكر السادات الشيخ الشعراوي على هذه المحاضرة, وحسن تصرفه فيها, ولم يقل تقدير الشيخ للسادات بعد خروجه من الوزارة, بل آلمه بشدة حادث اغتيال الرئيس الراحل السادات, وقال عمن قتلوا السادات أنهم واهمون, وأنهم أغبياء إن ظنوا أنهم قد انتقموا منه, فهو قد سقط شهيدًا أما هم فقتله مجرمون, وفي سؤال عن رأيه بوجه عام في الرئيس

الراحل قال الشيخ:"الذين خلطوا عملاً صالحًا وأخر سيئًا عسى الله ان يغفر لهم"؟

الشعراوي مع توفيق الحكيم

لم تقتصر معاركه على الساحة السياسية وصناع القرار فحسب بل كانت له معارك أخرى مع أهل الفكر والأدب, الذين تربص بعضهم بتفسير الشيخ, والبعض الآخر اعترض الشعراوي على بعض كتاباته وأفكاره, ومن هؤلاء توفيق الحكيم الكاتب الراحل الذي كتب مجموعة من المقالات بعنوان "حديث مع الله" كانت تحكي قصة رجل يعاني فقد زوجته وابنه فراح يحادث لفظ الجلالة المكتوب في لوحة بديعة, ويحادثه هذا اللفظ, وكأنه الله يخاطبه, فهذا ما أعترض عليه الشعراوي, لما في ذلك من خطورة كبيرة على عقول الناس, والتي سيظهر أثرها في المستقبل فكيف يكلم الحكيم ربه, أن الله لا يكلم بشرًا لقوله تعالى ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ وجاء رد الحكيم: مدافعًا عن القيمة الأدبية التي تحملها القصة, ولكن الشعراوي لم يعترض على هذا المعنى الأدبي, ولكنه اعتبر تصوير الحديث مع الله تطاولاً على الذات العليه, وتفاقمت الأمور بين الرجلين, وعندما قال الحكيم: "بان الملحدين من العلماء سيدخلون الجنة برغم أنهم لم ينطقوا بالشهادتين؛ لأننا عرفنا الإيمان عن طريقهم" فثارت ثائرة الشعراوي, وقال هذه مغالطة كبرى كيف يقول إننا عرفنا الإيمان عن طريق العلماء الملحدين أمثال أنيشتين, فهل أوتي هؤلاء ما لم يؤت المرسلين... إن هذا يمس صفة العدل الإلهي, لأنه بذلك يكون الله لم يساوي في الفرص بين الناس, ما دام دليل وجوده تعالى والمعرفة الحقه به لا تتوفر إلا لدى من

لديهم نشاط علمي, وهل الحكيم يريد أن يدخل الناس الجنــة بغـير حسـاب, أو إيمان وكأنه قد غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم".

ولم تتوقف المعركة عند هذا الحد, بل طلب الشعراوي عقد منــاظرة في التليفزيون على الهواء... إلا أن الحكيم رفض, معترفا بأن الشعراوي سيكسب من الجولة الأولى....

علاقته بـ أهل الفن

كان الشعراوي يطرب لصوت عبد الوهاب الموسيقار الكبير, وكان إذا اتصل به عبد الوهاب, وقال:"آلو" ضحك الشعراوي, فيسأله عبد الوهاب أتضحك قبل أن ترد " على آلو " فيقول الشعراوي أنت تلحن الكلمة, قبل أن تنطق بها؟ وكان عبد الوهاب يسأله عن الحلال والحرام في الغناء فيحدد له الشيخ الأمور قائلاً بان أي شعر وإن لم يغنى فيه للعواطف فهو مرفوض, وإذا كان شعرًا ولحنا به خلاعة فهو مرفوض, وإذا كان الكلام جيدًا واللحن كذلك والأداء مثير للغرائز فهو مرفوض أيضًا"..., لأن الشباب من الجنسين في فترة المراهقة يكون "مسعورًا" بالجنس, ولا يحتاج أن تثيره بالغناء.

وكان الشعراوي دائما ما يقول لعبد الوهاب: "لماذا تغني, إن صوتك وكلامك العادي جميل... يكفيك أن تتحدث والناس يستمعون إلى كلامك فلا ضرورة للغناء... وعن علاقته بالفنانة شادية, يذكر الشيخ الجليل أن أول لقاء له معها كان بالمصادفة في مكة المكرمة, وكان لقاءً عابرًا, حيث كان الشيخ يقف مع بعض الأصدقاء في انتظار الأسانسير, حينما توقف الأسانسير, خرجت منه شادية التي قالت له عندما وقع نظرها عليه: "عمي الشيخ الشعراوي", فقال الشيخ :"مرحبًا" ولم يكن يعرف من تكون فقالت له: "أنا شادية" فقال لها: مرحبًا بك يا شادية, فقالت: ": ادعوا لنا يا مولانا" فقال الشيخ: "ربنا يهديك" فقالت :"ربنا يغفر لنا" فقال ربنا عز وجل قال ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وربنا يحب

التوابين ولم يسم نفسه تائبًا بل سمى نفسه توابًا على من يتوب عليهم... وبدأت شادية بعدها تقلب صفحات الماضي, وترى نفسها غير راضية عن حالها, حتى أدت أغنيتها الشهيرة "خد بإيدي" وشعرت أنها في انجذاب إلى الله تعالى, وإقبال عليه, وبعد ظهر يوم من الأيام أدارت مفتاح سيارتها متوجهة إلى منزل الشيخ الشعراوي, حيث علمت أن له منزلاً بالحسين وطلبت من حارس الأمن مقابلة الشيخ, فقال لها "أقول له مين" فقالت: "شادية" ودار بينهما حوار, سألت شادية من خلاله الشعراوي عن أمور كثيرة, ثم سألها عن فاطمة رشدي وهل حققت واحدة من الشهرة ما حققته, واين هي الآن, ثم تساءل من يعول هؤلاء الفنانات الذين لم يستفيدوا منهن بشئ, وهنا فهمت شادية مقصد الشيخ, وقررت بعدها اعتزال الفن, وأعلنت أن أحدًا لم يجبرها على ذلك, بل اختارته بمحض إرادتها, ولم يكن هذا المنطق الذي تحدث به الشيخ مع شادية خاص بها وحدها, بل يتعلق بالكثير من الفنانات اللاتي ذهبت إليه, يطلبن إرشاده لهن إلى الطريق الصحيح, إذ حدثهن الشيخ بهذا المنطق نفسه, ماذا يبقى لكن بعد ذلك, وهل يخلد الفن أيضًا؟.

وكانت من هؤلاء "هالة الصافي" التي اعتزلت الرقص, وغيرت اسمها وتفرغت للعبادة, وأقامت مدرسة خاصة لتعليم النشيء الدين الإسلامي.

وتقول الفنانة شهيرة : كنا وزميلاتي المعتزلات (ياسمين الخيام- نسرين- هناء ثروت- عفاف شعيب- شادية- سهير رمزي- سحر حمدي)

على اتصال دائم بالشيخ الشعراوي, نطمئن على صحته, ونسأله في أمور كثيرة, وإذا أردن أن نلتقي به كعالم جليل يفيدنا بعلمه وفقه, طلبنا موعدًا يحدده لنا.

وكانت هذه الزيارات تتم إما في بيته بالهرم, أو في الحسين, وكان دائما ما يقول لهن: "إن الفن كالسكين, فمن الممكن أن يرتكب به الإنسان جريمة, ويمكن أن يطهو بها طعاما, فهو سلاح ذو حدين, هذه بعض مواقف الشيخ مع أهل الفن, حيث كثرت الأقاويل في هذه الصدد, وأعترض البعض على استضافة الشيخ الشعراوي للفنانات في بيته, وكأن هؤلاء حكموا على الفنانات أنهم لا توبة لهن وليس من حقهن الرجوع إلى الله كسائر الخلق, وكأن معهم من الله تفويض بذلك, ونال الشيخ من جراء هذا الكثير فأردنا أن نبين هذا الجانب من حياة الشيخ ليستبين الحق....

التطرف

إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف, ولم يجبر أحدًا على الدخول فيه ولم ينه المسلمين من التعامل مع أهل الأديان الأخرى بقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين, ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ الممتحنة – ٨–.

بهذه الروح الإسلامية المستنيرة, واجه الشعراوي كل فكر متطرف ناقص الفهم والوعي بقضايا الاسلام, ولما وقعت أحداث ١٧, ١٨ يناير ١٩٧٧م وكان الشعراوي وقتها وزيرًا للأوقاف, وقد أطلق الشيوعيون على هذه الأحداث بأنها إنتقاضة شعبية من أجل الخبز والحرية.. واسماها السادات "إنتفاضة الحرامية" وقال الشعراوي عنها "إنها فتنة ومحنة" ويذكر الشيخ أنه قد ذهب ليلتها ليلقي بيانًا في الإذاعة والتليفزيون, وكان الناس في الطريق يكسرون الدكاكين وشاهده بعض المتظاهرين فقالوا له :"مرحبًا يا مولانا". فقال الشيخ "أجرتم... أجرتم, ما ذنب أصحاب هذه الدكاكين, وما ذنب الذين تعتدون على أموالهم وممتلكاتهم".

وما هو ذا يوم قتل السادات يصف من قتلوه بالغباء وقلة التدبر في الأمور, فهم قتله وهو شهيد, وكم لآلمه ما حاول البعض إحداثه من فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين في مصر, وكثيرًا ما كان ينصح بعدم الانشغال بالخلافات بين الطرفين, إن وجدت فإن كنا نختلف مع المسيحيين في نقاط معينة فنحن نتفق معهم في نقاط أكثر, فمثل هذه الأمور كانت

تحزن الشيخ كثيرًا؛ لأنها تقود الأمة للخلف في وقت نبحث فيه عن كل خطوة للأمام.

وبدلاً من أن نعالج ضعف المسلمين, نهتم بمثل هذه المهاترات لأناس فهموا الإسلام فهمًا سطحيًا... أمّا عن كيفية عودة المسلمين إلى الإسلام الحقيقي وإمكانية تطبيق الشريعة الإسلامية, فيقول الشيخ الشعراوي إن ضعف المسلمين من أنفسهم, لا من حكامهم, فقوة المسلمين تتمثل في أمرين:

الأول: ويقع على الحاكم بنسبة ٥٪.

والثاني: ويقع على الشعب أو المجتمع بنسبة ٩٥٪ فما في يدي الحاكم هو تنفيذ الحدود كرجم الزاني وقتل القاتل وقطع يدي السارق, وعلى الشعوب أن تطبق الشريعة على أنفسها, وترضى بأن تحكم بشرع الله, وهذا تمثل ٩٥٪ من القضية؛ فالحاكم لا يأمر الناس بالزنا وشرب الخمر, ولو أنتهوا لما حاربهم على ذلك.

فالأمر إذًا بأيدي المسلمين أنفسهم, أكثر من كونه بأيدي الحاكمين...

إفتراءات عليه

تعرض الشيخ الجليل في الفترة الأخيرة من حياته لكثير من الهجوم, وكثرت الإشاعات حوله والإفتراءات عليه, ولم يكن وحده الذي لاقي الهجوم, فقد شاركه في ذلك الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر -رحمه الله- .. ويبدو أن أصحاب هذه الافتراءات.. لم يجدوا في الورد عيب... "فجاءت افتراءاتهم وكلامهم الذي اتسم بالتطاول ولا سيما على الشيخ الشعراوي- بكثير من الحجج الواهية والادعاءات التي لا يقتنع بها العقل, وكأنه راعهم أن يروا الشيخين الجليلين يعتليان عرش المحبة في قلوب الناس, ويذكر الشعراوي أنه حينما تعرض لمثل هذا الهجوم ومعه الشيخ جاد الحق, تناقشا معًا في إمكانية الرد على هذا الهجوم من عدمه, فكان من رأي الشعراوي أن الرد اعتراف بشبهة المهاجم , فتسائل الشيخ جاد الحق: " ألا يترك ذلك صدى في الناس؟" فقال الشعراوي: يا مولانا. ألسنا كما يقال: ورثة الأنبياء" فقال الشيخ جاد: "نعم, وسأكمل لك ما أردت أن تقول", فقال الشعراوي:"والله لا أحرم من ذكاتك" فقال الشيخ جاد: أكمل فأقول: فإن لم ينلنا شئ من هذا الهجوم, فقد نقص حظنا من ميراث النبوة".

ثم سأل الشعراوي قائلاً: "أأنت صابر على هذا الهجوم" فقال الشعراوي: "نعم". أنا صابر, وسوف أظل صابرًا لأمرين:

الأول أقوله لك.

أما الأول: فيكفي في الرد على كل من يهاجم أن نقرأ توقيعه على الهجوم, وأرى أن هذا هو الرد عليه, فقال الشيخ جاد: "سألتك با لله أن تُسر لي الأمر الثاني". فقال الشعراوي: "لمكانتك من قلبي يا مولانا ألمح ولا أصرح, أما التلميح فإني أقسم لك أني ما هوجمت ورأيت خيرًا كبيرا وراء هذا الهجوم...

وتوفي الشيخ جاد -رحمه الله- وترك الشعراوي يهاجم وحده, ويزداد هذا الهجوم شراسة في السنة الأخيرة من حياته, ولما سئل عن هذا الهجوم, وهل قرأ هذه الكتابات ضده, فقال: "أنا لم أقرأ شيئا عن هذا... ولا أنوي الرد على هؤلاء, فأنا والحمد لله لم أقذف بعد بالحجارة, ولم توضع القاذورات أمام بيتي ولم أتهم بالجنون, ورسول الله ﷺ حدث ذلك وأذكر معه. ومثل هذا الهجوم إشارة لي أنني على الحق وإلا ما كانوا ليهاجموني...

الشعراوي يخطب في الأمم المتحدة

قد ناقش في خطبته هذه كل القضايا التي تهم المجتمع المسلم, واستنكر سياسة الأمم المتحدة المهتزة, وقال إن ما تفعله الأمم المتحدة قد فعله الإسلام وسبق إليه من قبل في قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما, فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ الحجرات - ٩-.

وقال إن حل أي قضية يقتضي الوقوف مع المظلوم, إلى أن يأخذ حقه من الظالم... وعندما يحدث ذلك تأخذ كل دولة حقها... ولكنكم لا تفعلون ذلك" ويتحدث الشيخ عن موقف الأمم المتحدة حيال المجازر التي تحدث في الجزائر ومن قبلها في البوسنة وما يحدث في السودان والصومال, والأمم المتحدة تقف مكتوفة الأيدي مغمضة العينين, ولا تسمع ولا ترى ولا تتكلم, بينما تستطيع أن تنوع من لهجتها وتستعرض عضلاتها عندما تكون القضية ضد "........".

مثلما يحدث في العراق والسودان وغيرها من الدول.... ويبين الشيخ أن المسلمين باستطاعتهم أن يكون لهم صوت عال, وقضية تطرح على مائدة المناقشات, لا توضع في الأدراج... فهلا ارادوا ذلك ليكون لهم.

إن كنت قدرنا فليوفقك الله

سئل الشيخ الشعراوي عن الرئيس مبارك وعلاقته به, فقال جميع رؤساء الدول العربية أصدقائي, وأقربهم إلى قلبي الرئيس مبارك... مما له من مواقف إنسانية كثيرة, ويتصل بي من الحين للحين, يعرف أخباري, ويطمئن على صحتي... ولا يزال الكثيرون يذكرون هذا اليوم الذي حضر في الشيخ الشعراوي, ومعه جمع من علمائنا الأجلاء لتهنئة الرئيس على نجاته من المحاولة الفاشلة لاغتياله, في أديس ابابا يونيو ١٩٩٥م, ولقد تركت كلمات الشيخ صدى عند الناس وعند الرئيس..."إذا سلمت فكل الناس قد سلموا, وإن الله يؤتي الملك لمن يشاء, فالا تآمر على الحكم ولا كيد على الله لحكم, وقال: "إن قدر الله لا يأتي إلا بالخير, وسيرى الشعب قريبًا أثر هذه الهزة وحكمًا سديدًا رائدًا, وقال :بإذن الله ينفع بالحاكم العادل الناس جميعًا, ويجعله يلتفون حوله, وأخر ما أحب أن اقوله له, ولعل هذا يكون أخر لقائي بك: "إن كنت قدرنا ليوفقك الله, وإن كنا قدرك فليعنك على أن تتحمل....

العام الأخير

لا أظن أنني من هؤلاء الذين منحهم الله صفاء القلوب ونور البصيرة, يستطيعون قراءة الأحداث, ويتلمسون حكمة الله من تسيير الأمور...لكن ذلك الإحساس الذي لم يفارقني طوال هذا العام, وكلما سمعت خبرًا عن الشيخ... -مره- سفره للعلاج- بناء بجمعه الإسلامي في دقادوس, حصوله على جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٨م... كل هذه الأخبار وغيرها بعثت داخلي شعورًا بأن الشيخ يُكرم في الأرض قبل تكريم السماء له, فمرضه الذي تزايد ونوبات أزمته الصحية المتكررة, ودخوله غرفة العناية المركزة... كل ذلك أقلق الملايين من محبيه وتلامذته ثم كان بناءه للمجمع الإسلامي الضخم في مسقط رأسه دقادوس, والذي تحمل الشعراوي تكاليف بناءه من ماله الخاص, وقد حضر افتتاح هذه المشروعات د/محمد سيد طنطاوي, شيخ الأزهر وكل من وزير الأوقاف, ورئيس جامعة الأزهر, الذي أعد الشعراوي واحدًا من أئمة السلف الصالح.... ثم حصوله على جائزة دبي لأفضل شخصية إسلامية لعام ١٩٩٨م, ووصلت قيمتها إلى ما يقرب من مليون جنيه تبرع بها للفقراء وطلاب العلم, وعلى الجانب الآخر فتح أعداء الشيخ النار عليه فأمطروه بوابل من الأكاذيب والادعاءات, دفعهم إلى ذلك مرض الشيخ وغيبوبته شبه المستمرة عن الدنيا والناس, وظنًا منهم أن تلك الألسن التي تربت على يدي الشيخ عاجزة عن الزود عنه, وأهمية بذلك أنهم يشوهون صورة الرجل, وهم لا يدرون أن فعلهم هذا لا

يزيدهم إلا قبحًا في نظر الناس, ولا يزيد الشيخ إلا نيلاً من حسناتهم تزاد في ميزانه.... كل ذلك يُشعر الناظر إلى تسيير الله لأمور خلقه بأن الشيخ قريب من ربه...

ومن آخر القضايا التي شغلت فكر الشيخ قبل وفاته بأيام قضية خفض الدراسة بالأزهر, وتقليص عدد سنوات الدراسة بالثانوية الأزهرية إلى ثلاث سنوات, وكان الشعراوي من المعارضين لمثل هذا التغيير, وحدث أن جاءه د/محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر, ود/أحمد عمر هاشم, وشرحا له مبررات الموضوع, وأقسما له أن المناهج لم تتأثر, ولن يتم حذف شئ من القرآن أو المواد الشرعية, وأقتنع الشيخ لما قالاه, ووعد بإصدار بيان يؤيد فيه القانون الجديد, وعلمت حينه المعارضة في الأزهر بوقائع اللقاء, فأنابت من ذهبوا إلى الشيخ في بيته, وقالوا: لماذا تدخل نفسك يا موالانا في أمور لا ناقة لك فيها ولا جمل, وقد كنت من المعارضين لهذا القرار فماذا حدث!!!... وأثر هذه الموضوع على الشيخ صحيًا حيث كان سريع التأثر بأي شئ يمس الإسلام أو الأزهر, ثم تدهورت حالته الصحية بعد ذلك, ونقل إلى المستشفي ليُمضي أيامه الأخيرة بها...

دعـــــوني وربـــــي

ولم تكن عبارة "**دعوني وربي**" التي قالها الشيخ على فـراش المـوت وليدة اللحظة ولم تكن معبرة عن رغبة الشيخ في هذه اللحظة فقط بل كانت هذه العبارة منهج حياة بالنسبة للشيخ والناظر على حياة الشيخ يجده قد نطق بهذه العبارة كثيرًا.

فهو قد نطق بها يوم أن حفظ كتاب الله وهو صغير. ونطـق يـوم أن طلب العلم ونهل منه بفهم العلماء. ونطق بها يوم أن حمل على عاتقه همـوم أمة بأسرها وراح يخطط لإصلاح المجتمع المسلم, ليـس في مصر وحدهـا بـل من أجل الحق وتمكين شريعة الله في الأرض والعمـل علـى تطبيقهـا سـواء في ذلك معاركه مع أرباب الحكم وأرباب القلب... وقالهـا الشـيخ يـوم أن أتخـذ تفسيرً كتاب الله تعالى طريقه في الدعوة إلى الله وتجسدت هـذه العبـارة مـن خلال نهجـه في الدعـوة إلى الله ومنهجـه في التفسـير والـذي صنفـه البعـض ضمن التفسير اللغوي للقرآن الكريم اعتمد فيه الشيخ على موهبته وخبرته في اللغة العربية ورأى البعض الآخر أن منهج الشيخ في التفسير كان تكامليًا فيـه اعتماد على المقدرة الفائقة في فهم كلمات اللغـة العربيـة ووقوفـه عنـد كـل كلمة وسؤاله عنها لماذا استعمل الله هذه الكلمة ولم يسـتعمل غيرهـا ولمـاذا قدم هذه الجملة على تلك إلى جـانب استنباط الحكـم الفقهـي مـن الآيـة ان

وجد ويشير إلى أسباب النزول ويربطها بالظروف التاريخية على احاطة كاملة بكل ما جاء في كتب الأقدمين في تفسير الآيات.

ثم كان السر الأكبر في اجتذاب الملايين لأسلوب الشيخ وهو ما أسماه مريدوه "الإلهام من الله" أو "فيوضات" من عند الله تعالى يفيض بها على الشيخ فتكون لكلماته سحرًا خاصًا لا تستطيع أن تمنعها من الوصول إلى القلب بل وإمتلاكه ومن العسير أن تطلب من الشيخ أن يعيد عليك ما قاله ثانية فقد فعلها مخرج برنامجه الأسبوعي اكتشف عطلاً بالشريط يجعله غير صالح للعرض وحاول إقناع الشيخ بإعادة التسجيل مرة أخرى فقال له :"أنت فاهم إن الكلام اللى أنا قلته دلوقتي أقدر أعيده تاني!!!....

ولم تختفي عبارة "دعوني وربي" من منهجه في الدعوة بشكل عام كما لم تختفي من منهجه العلمي في تفسير كتاب الله.

فقد كان الله مقصده وغايته في آرائه وأقواله وبقدر صحة هذا المقصد عند الرحيل كان يعطيه الله تعالى علمًا فجمع بين العلم الديني والعلوم الأخرى فكان واسع الثقافة كثير الإطلاع تجد له آراء اجتماعيًا ومنهجًا منظمًا في إصلاح المجتمع وتجد له آراء تربوية وظهرت هذه الموسوعة العلمية الرائعة بشكل قريب من الإفهام من خلال فتاوى الشيخ وأراءه في قضايا المجتمع المعاصرة ففي رأيه حول قضية الاستنساخ قال الشيخ أنه حرام في الانسان وكل من يقوم به يدخل تحت طائلة القانون الإلهي فلا خالق إلا الله ورأي في ذلك أن الاستنساخ لا يجوز في الإنسان لأن له اسرة فمن

الممكن أن ينكح العجل أمه وهـذا لا يجـوز مـع الإنسـان لأن لـه عاطفـة إمـا الحمام مثلاً فيظل يطعم أولاده حتى يطيروا فلا يعرف أخوته أو أبويه ولذلك قال الله في الإنسان.. ﴿وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرًا﴾.

فالاستنساخ ممنوع في الإنسان حيث يختلط الأنساب مما يتعارض مع أدميتنا وبشريتنا, وخالف الشيخ في رأيه رأي شيخ الأزهر في أكثر من قضيـة طرحت على سـاحة الـرأي العـام, مثـل قضيـة فوائـد البنـوك وقضيـة التـبرع بالأعضاء وعن هذا الخـلاف يقـول الشـيخ الشـعراوي أنـا دائمـا أتكلـم عـن الصريح في كتاب الله ولا اجتهاد في نص لذا فاني أكره من يجتهد في نص... وكان هذا سبب خلافي مع شيخ الأزهـر د/محمـد سيد طنطـاوي والمفـتي د/ نصر فريد واصل فهما يجتهدان في أمر ليـس فيـه اجتهـاد وقـد جـاءني شـيخ الأزهر وقال أنه تبرع بأعضائه دعمًا للإنسانية فقلت له أكتب في إقرارك "إن شاء الله" لأنك لا تضمن أن يعثر على أعضائك كما يحدث في الحـوادث أو يسقط عليك سقف منزلك فلا يستطيعون إخراجك...

وعن رأيه في قضية التبرع بالأعضاء الآدمية يقول الشيخ الشـعراوي... كل شئ ملك لله تعالى لأنه واهبه, ثم إن هناك أشياءًا لم يُملكها الله لنا لأن سبحانه وتعالى يعلم أنه لو ملكها لنـا لأفسـدناها -نحـن لبـني الإنسـان- لأن لكل منا هـوى والله لا يضمـن أهـواء البشـر وإنمـا ملكنـا الله تعـالى ملكيـة للذات وملكية للنفع وهو ما حذدها بقولـه تعـالى ﴿ومـن آياتـه أن خلـق مـن أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾.

وأيضًا قوله تعالى ﴿وخلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون﴾ إذن هنا ملكية للذات وملكية للنفع ولكن حينما جاء على أعضاء الإنسان قال ﴿أمن يملك السمع والأبصار والأفئدة﴾ إذن انتفع بها الإنسان ولم يمتلكها, والبيع لشئ يكون في حوذتك اي البيع والتبرع شرطهما الإمتلاك أن ملك ماتبيعه أو تتبرع به والسؤال هل أبيع أو اهب مالا أملكه؟...

ولما سئل الشيخ عن أهم القضايا التي تشغله في أخر حياته. قال أهم القضايا عندي القدس درة الإسلام والمسلمين وليتني استطيع فعل شئ من أجلها, وانا أتمناه من الله تعالى أن يمد في عمري... لكي أصلي بالمسلمين في بيت المقدس وهو محرر من أيدي اليهود الغاصبين... فليس عليه ببعيد, والتعنت الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية ليس سليمًا.. وعلى نتنياهو أن يعيد حساباته, وإلا ازداد الموقف سوءًا, وإذا كان يفهم أنه على صواب.. فهذا يجعله يدفع الغالي والنفيس والقضية ليست حربًا وسلامًا ولكنها قضية شعب ضاع حقه وضاع قدسه, ونحاول أن تعطينا الحكومة الإسرائيلية المتعجرفة حقوقنا التي اغتصبوها.

وأنها لن تعيش في سلام ما دامت نهبت حقوق الغير وإذا لم تتفاهم.. لابد أن يجمع العرب والمسلمون جميعًا ضد إسرائيل ولا بديل إلا القوة وإذا كانت إسرائيل تريد السلام لأسرعت له .

لكنها تفاوض على السلام من جانب وتنقض المواثيق من جانب آخر فهي تتفوه بالسلام وتعتقل الأخوة الفلسطينيين وتهدم منازلهم في الوقت نفسه...

فضلاً عن بناء المستوطنات و لم تكن القدس وحدها تشغل عقل الشيخ وهو يفارق الدنيا بل كانت هناك قضية أكبر وهي قضية الدعوة والتي يحمل الأزهر الشريف جانبها الأكبر في مصر والبلاد الاسلامية والعربية, ولذلك قال الشيخ: ان من واجب علماء الدعوة وأئمة المساجد أن يكونوا على وعي تام بأي فكر جديد ومذهب وافد فليس في الحصافة الدينية أن يصرف الداعي الناس عن أي مبدأ من المبادئ كراهة له ولكن عليه أن يدرس هذا المبدأ دراسة تسندها خبرته الدينية وقوتها وعلى معرفة بمنافذ الخلل في هذه المبادئ وبذلك يستطيع أن يرد عليها ردًا مقنعًا مستنيرًا رد الفاهم لها أولاً أو المنفر منها ثانيا.

كما أنه لا يجوز أن ينفصل سلوك الداعي عن منهج دعا إليه لأنه إذا انفصلت الكلمة عن السلوك كان الخطر في أن يعرف السامع أن هناك كلامًا يقال وسلوكًا يفعل ولا ارتباط بينهما...

وآخر ما أحب أن أختم به سطوري هذه كلمات قالها الشيخ الجليل عن القرآن وتفسيره حيث قال: إن القرآن الكريم لا بد أن يكون له في كل جيل عطاء وأنا معتقد أن الإنسان حينما يقبل على كتاب الله فإنه سيعطيه قدره نور والنور هنا هو البصيرة التي تنشأ من التقوى أولا ومن إخلاص النية

ثانيا ولهذا يجب أن نفهم من ذلك أن رسول الله ﷺ لم يفسر القرآن ولو فسره لحمده وما كان لإنسان أن يزيد على ما قال الرسول شيئًا...

أشتد المرض على الشيخ في أيامه الأخيرة, وكان الألم هذه المرة غير معهود لدى الشيخ, فكان يشتكي آلامًا في ظهره, ونقل إلى المستشفى, ثم عمل الأشعات اللازمة له, ومكث الشيخ في المستشفى أربعة أيام, رفض فيها أخذ الدواء, رغم تحذيرات الأطباء له, وأصر على نقله إلى البيت, وطلب ممن حوله من أهله بعدم التجمع حوله, وأن يتركوه لصلاته وتسابيحه, فكان لا يرى إلا ساجدًا أو رافعًا يديه إلى السماء, مبتهلاً, ولاحظ أبناءه هزلاً غير مسبوق على أبيهم, وزاد قلقهم على الشيخ, وهو يصر على عدم دخول أحد عليه, ويرفض الطعام إلا مع أذان المغرب, فيقبل أن تبلل شفتيه فقط بالماء, وقبل يومين من وفاته, يحاولوا وضع حقنة الجلوكوز في جسده, فلم تفلح تلك المحاولة, و لم يستطع الطبيب المعالج فعل ذلك أيضًا, فتدخل الشيخ قائلاً كفى "**دعوني وربي**" فاستمر الحال على ذلك, حتى جاء فجر الأربعاء ١٩٩٨/٦/١٧م, رأى الجميع الشيخ في راحة ويقظة, غابت عنه تلك الفترة من مرضه, فطلب إليهم أن يحضروا ما عندهم من طعام, ثم تناول من الطعام ملعقة واحدة, تساءل: "في أي يوم نحن" فقال له ابنه الأكبر في يوم الأربعاء, فطلب إحضار السيارة, حتى يذهب إلى منزله بدقادوس, ثم سأل عن مدير أعماله الذي أوصاه ببناء مقبرة له؛ ليسأله عما فعله في ذلك الأمر.

وفي السادسة صباحًا, تجمع كل أبناء الشيخ استعدادًا للرحيل بالشيخ, ولم يعلموا أنه سيكون الرحيل الأخير, ودخلوا على الشيخ فطلب منهم جرعة ماء فشربها وحمد الله, ثم وضع يده على صدره لينهي حديثه مع الخلق, ويبدأ حوارًا مع الخالق, وتحين لحظة الفراق, وتجتمع ملائكة الموت حول سرير الشيخ, ليدور حوارًا لا يسمعه غيره, فيأتيه الملك الأول فيقول له: يا عبد الله طفت لك المشارق والمغارب, فلم أجد لك على وجه الأرض شربة ماء تشربها.

فيتبعه الملك الثاني فيدخل على الشيخ قائلا: يا عبد الله طفت لك المشارق والمغارب, فم أجد لك خطوة على وجه الأرض تخطوها.

ويأتيه الملك الثالث, فيقول: يا عبد الله: طفت لك المشارق والمغارب, فلم أجد لك نفسًا تتنفس به.

وتحين لحظة الفراق ويستعد العبد الصالح للقاء ربه, ويستعد ملك الموت لتسليم الأمانة لبارئها, يوقن الشيخ أنه قد أذن الموقف بالرحيل, فيضع يديه على صدره لينطق بآخر كلماته في الدنيا" بسم الله أشهد أن لا إله إلا الله, وأن محمد رسول الله".

وتفارق الروح الطيبة الجسد الطاهر لتشق عنان السماء, ويتساءل الملائكة فيما بينهم "روح من هذا... فيعلمون" ويحمل الجسد إلى مثواه الأخير ويوضع في التراب ويتركوه يؤنسه العمل الصالح, ويضيء له القرآن ظلمة القبر. فرحم الله الشيخ...

قالوا عن الشيخ

الذين تتلمذوا على يده كثيرون, ومن تعلموا من مواقفه الشخصية كثيرون, ومن عرفوه عن قرب كثيرون ... فماذا قال هؤلاء وأولئك عن الشيخ؟!

د/ أحمد عمر هاشم:

قال في افتتاحه لمجمع الشعراوي بدقادوس : إننا نعد أستاذنا الإمام الشعراوي واحدًا من أئمة سلف هذه الأمة فانطلق قلبه الموصول بـا لله يفسر كتاب الله ثم يطبق ذلك عمليًا فما يجمعه من مال يقدمه للمسلمين من الفقراء وطلاب العلم وهذه القلاع والصروح الدينية التي يقيمها لتتحدث هذه الأعمال عن نفسها قائلة : هاهم العلماء والأئمة, هاهم القدوة الذين يقدمون للسلوك والنموذج والقدوة قبل الكلام والتوحيد, وقد صدق رئيس جامعة الأزهر فيما قال فا للشيخ الجليل الكثير من الأعمال الخيرية والمساهمات في كثير من أبواب الخير ليس في سنواته الأخيرة فحسب بل على مدار حياته فقد تبرع الشيخ بـ ثلاثة عشر مليون جنيه لإقامة بعض المشروعات في قريته كإنشاء مستشفي ومعاهد أزهرية ومدارس ومساجد كما تبرع بمليون جنيه لتدعيم حفظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية.

وتبرع بمأتي ألف جنيه لمنكوبي الزلزال بمصر, وبخمسين ألف جنيه لمجمع البحوث الإسلامية وخمسة وأربعين ألف جنيه للمستحقين من الأزهر والأوقاف كما تبرع بمبلغ خمسة وثلاثين ألف جنيه لقرية الضهرية عقب

نشوب حريق بها سنة ١٨٤م, كما وصلت تبرعاته للجهات الحكومية المختلفة إلى حوالي ٤٥٤ ألف جنيه ما تبرع لمكافحة الجريمة.

وكان أخر ما تبرع كما صرح بذلك شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوي: هو نصف مليون جنيه من ماله الخاص لإنشاء عمارة سكنية لطلبة البعوث الإسلامية وقد قال شيخ الأزهر أنه سيتم إطلاق اسم الشيخ الشعراوي على هذا العمل...

الشيخ حسن الشناوي شيخ الطرق الصوفية:

قال: وأثناء تشييعه لجنازة الشيخ: يعز عليّ أن ينعى فضيلة أستاذي ومعلمي محمد متولي الشعراوي الذي كان أستاذًا لي تلقيت العلم منه مشافهة ثم بواسطة وسائل الإ علام وأنه كان يميل في شرحه أو درسه إلى الدعابة الحقيقة ليفتح بها القلوب والأذهان وكان له معنا دعابات اثناء الدرس...

طالب أندونيسي:

حضر هذا الطالب الإندونيسي "ديدي محرم بخاري" الطالب بجامعة الأزهر –حضر لتشييع جنازة الشيخ– وروى كيف بدأت علاقته بالشيخ من خلال مؤلفاته المترجمة باللغة الإندونيسية وأن الشعراوي قد زار إندونيسيا بصحبة الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥م وكيف أنه تعلق بعلم الشيخ وأسلوبه البسيط في تفسير كتاب الله اثناء دراسته بجامعة الأزهر, وأضاف الطالب أنه بمجرد سماعه لخبر وفاة الشيخ عندما أذاعته لندن أتى من فوره إلى

دقادوس لتقديم واجب العزاء وعن مكانة الشعراوي في إندونيسيا قال الطالب: إن الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي -رحمهما الله- يحظيان بحب المسلمين واحترامهم في بلده.

الحاج عبد الرحيم الشعراوي:

أكثر أولاد الشيخ شبهًا به لم ينل قسطًا كبيرًا من التعليم لكنه حفظ القرآن الكريم الذي حرص والده أن يتم حفظه هو وأخوته, وكان الحاج عبد الرحيم وشقيقه الأكبر سامي الشعراوي يقومان بالإشراف على الأعمال الخيرية التي يقوم بها الشيخ في دقادوس... فماذا قال ولد الإمام عن أبيه؟!

يقول الحاج عبد الرحيم: كان أبي يعاملنا مثل باق الناس ولا يفضل أبناءه على أحد... وكان إذا علم أن أحد منا قد رفض طلب محتاج أو مسكين... يغضب ويثور علينا وكان يعلمنا من صغرنا أن مساعدة المحتاج أهم من الدنيا كلها حتى أننا لو طلبنا منه مساعدة في العمل كان يقول لابد من أن تعمل وتشعر أن هذا العمل مثل العبادة فلن يقوم أحد غيرك بعبادة ا لله بدلاً منك وتنال أنت الحسنات, وكان والدي طوال عمره لا يرفض طلبًا لأحد... وكان يتمنى أن يساعد كل محتاج... ومسكين لدرجة أن منزله كان لا يخلوا أبدًا من الناس وذلك من السابعة صباحًا وحتى منتصف الليل... فمنهم من يحضر من الدول الأخرى للاطمئنان على صحته وسلامته... ومنهم من يسأله عن مسألة في الدين وأخرون يطلبون المساعدة...

ولم يغلق بابه في وجه أحد وكان يكره أن يمنع أحد الناس من مقابلته وكان لا يتخذ لنفسه حراسة وكان إذا حضر إلى قريته ووجد حراسة على بيته كان يقول لهم.. أنا لا أغلق باب منزلي أثناء نومي... فهل أحتاج إلى حراسة؟!.

جـــار الشـــيخ:

رغم فارق السن الكبير بينه وبين الشيخ إلا أنه كان يجد في الشيخ حنان الأب وصراحة الصديق وسماحة العالم كان أحمد إبراهيم الطالب بكلية اللغات والترجمة وجار الشيخ الشعراوي: يشتري الجرائد للشيخ كل يوم فور صدورها ويقوم بقراءتها له وعن ذلك يقول أحمد إبراهيم كان الشيخ يفضل أن اقرأ له الأخبار السياسية والداخلية وصفحة المجتمع وبعض الأعمدة لكبار الكتاب ومن أهمها عمود مصطفي أمين.

وكان كثيرًا ما يقف في الشرفة متأملا في الناس وكثيرًا ما نبه بعض المارين إلى تصرفات معينة يجب ألا يتصرفوها وكثيرًا ما يطلب من بعض المارة الذين يشعر بأنهم فقراء الصعود إليه ليعطيهم نقودًا ولم تكنْ لديه مواعيد محددة للزيارات فكان يستقبل الناس في أي وقت يأتون فيه... وعن أهم شئ تعلمه من الشيخ يقول أحمد إبراهيم: تعلمت منه كيف اقرأ فقد سألته يومًا: كيف حصلت على هذا العلم الغزير فقال:"إنني كنت أقرأ كل ما يقع تحت يدي ثم أفكر فيه وأتأمله كما كنت حريصًا على الالتزام بأوامر

ديني ونواهيه فبارك الله لي فيما تعلمت ونفعني به ونصحني بأن أشتري كتبًا كلما تيسر لي ذلك وبالفعل أنا حريص على تنفيذ هذه الوصايا...

جـــاره بالحســـين:

لم يكن جاره الشاب في بيته بالهرم فقط صاحب مواقف مع الشيخ بل كان جيرانه أيضا في بيت الحسبن يروون عن الشيخ مواقفا عديدة تفصح عن شخصيته وأخلاقه ومع هذا الشيخ الكبير في السن, الحاج مصطفي محمد زيد به نقس هذه السطور يقول الحاج مصطفى بدأت علاقتي بالشيخ بعد عودته من السعودية هو وأسرته وكنا كأسرة واحدة ولما تزوج ابناءه وانتقلت زوجته إلى الرفيق الأعلى أصبحنا نحن أسرته... وكنت أمر عليه في الصباح وأنا ذاهب إلى عملي لأطمئن عليه ثم أعود إليه بعد الظهر لأجلس معه حتى يودع أخر ضيف من ضيوفه الكثيرين وكان الشيخ يتحلى بأخلاق الصديقين فلم نكن نسمع في بيته صوتًا ولم يكن يجرح مشاعر أحد مطلقًا ولم يرد أحد يطلب عنده حاجة حزينًا أو مكسور الخاطر... أما في شهر رمضان فكان يكلفنا بإقامة مائدة الرحمن فوق السطوح من كثرة من يأتي إلى مائدته لدرجة ان عدد المترددين على المائدة في الشارع كان يبلغ حوالي ألف شخص وكان كل واحد منهم يأخذ عشرين جنيه من الشيخ وكان يقيم في السيدة نفسية مائدة شبيهة لمائدة الحسين وكان يعطيني قماشا كثيرًا أوزعه على الفقراء وكان الشيخ لا يأكل وحده بل لابد أن يأكل مع زائريه أو يبحث هو عمن يأكل معه وأحيانا كان يحرص على أن يطعم كل من أتى

إليه فإذا اعتذر إليه الضيف أعطاه الشيخ طعامه وطعام أولاده ليعود به إلى منزله ولم يكن أحدًا من الضيوف في الغالب يستطيع أن يرد رغبة الشيخ...

وكان ضيوف الشيخ من كافة الطبقات وكان الوزراء يفدون إليه كثيرًا سواء وهم في الوزارة أو خارجها...

رجل الأعمال محمد قاعود:

كان من المقربين للشيخ ومن الملازمين له أيضًا في جلساته الخاصة والعامة... ويصف علاقة الشيخ بربه فيقول: كانت علاقة الشيخ بربه علاقة صوفية عالية وكنا نلحظها فكان يجلس كثيرا وهو في حالة وجدانية نشعر فيها كأنه غير موجود هو لا يشعر بنا فإذا ما انتبه من هذه الحالة كان أعلم الناس بأمور الدنيا, كما كان مفسرًا عظيمًا للرؤى وكثيرًا ما بشر أحد سائليه بخير قادم فكان يقع له بالفعل, وكانت للشيخ علاقة طيبة بكل الناس وكان كثيرًا ما يكرر حديث رسول الله ﷺ : "خير الناس أنفعهم للناس".

وكان الشيخ يجلس من الثامنة صباحًا إلى ما بعد العصر للقاء الناس لحل مشاكلهم وكانوا يأتون إليه من أقطار كثيرة وكثيرًا ما كان يوصي أحبابه وخلصاءه ومما أوصاني به السير في قضاء حوائج الناس قضيت أم لم تقضى والتواضع في معاملاتي مع الناس وإنكار الذات والعفو عمن ظلمني ووصل من قطعني كما أوصاني بصلاة ست ركعات بعد المغرب وعشرين ركعة بعد صلاة العشاء ولما سألته عن هذه الركعات قال إنها صلاة الأوابين.

كما أمرني بكثرة الاستغفار والذكر وكثرة الصلاة على النبي بالصلاة الإبراهيمية وهي النصف الثاني من التشهد.

ومن وصايا الشيخ يذكرها محمد قاعود: أنه كان يقول: اعمل لوجه واحد يكفيك كل الأوجه.

ومن وصاياه إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وكذلك حب الله وحب رسوله وحب آل بيت رسول الله ﷺ والدعاء لأمة الإسلام بظهر الغيب.

رجل الأعمال السمادوني:

في أول مرة التقي فيها بالشيخ عن طريق صديقه أحمد أبو شقره, شعر بعلم الرجل وبصفاء لدى الرجل فلم يجده في غيره, أحب الشيخ وصار من الملازمين له...

ويقول رجل الأعمال محمد سيد السمادوني: كان الشيخ حريصا على صلة أصدقائه فكان يأت إلى المصنع الذي أملكه أول كل شهر شعبان ويصلي خلفه كل من بالمصنع وكنت أشعر بالبركة من هذا التصرف من الإمام... ومن مواقف الشيخ معي والتي لا أنساها يوم أن توفي لي ولد فجأة وجاءني الشيخ معزيًا فقال لي: أحمد الله فقد أعطيت أمانة وطلبها صاحبها مرة أخرى فهل من الحكمة أن ترفض إرجاعها أو تحزن لإعادتها؟!

فقلت له : لا..

فقال الشيخ هكذا استرد الله منك أمانته.

ويذكر محمد سيد السمادوني أن الشيخ كان يغرس في أحبائه حب الصدقة وكيفية أخراجها سرًا حتى لا يحرج مشاعر الفقراء, وكيف كان الشيخ قدوة في ذلك فقد أرسل إليه رجل ذات مرة أنه يعاني من أزمة مالية وأنه مقبل على زواج أبنته فارسل إليه الشيخ مالاً دون أن يعلم أحد من المحيطين به بذلك ولم يعرف أحد بأمر هذا الرجل حتى جاء الرجل بنفسه ليشكر الشيخ على موقفه معه... ويتذكر محمد السمادوني أخر ذكرياته مع الشيخ في دبي حيث كان من المرافقين له في رحلته الأخيرة إلى دبي والتي تسلم فيها جائزة شخصية العالم الإسلامي, وكيف أنه أستقبل في المطار استقبالاً حارًا حيث استقبله ولي العهد وعدد من الوزراء والمصريين هناك, وشعب دبي وأثناء تسلمه الجائزة قام ولي العهد بالذهاب إلى حيث يجلس الشيخ في الاحتفال وسلمه الجائزة وهو واقف يستمع إلى الشيخ في هيبه وإجلال وأقام الشيخ بعد ذلك ليلته في المستشفى التي جهز فيها جناح خاص له فتجمع فيها وحولها ألوف من المصريين من أحباء الشيخ ومريديه...

البابا شنوده:

عندما سئل الشعراوي عما يحاول البعض اثارة القلائل بين المسلمين والأقباط في مصر, فقال الشيخ أنا أعتقد أن المسيحيين أعقل من ينساقوا خلف هذه الأفكار وأن يحاول واحد إشعال مثل هذه الفتن فإن الملايين سوف يطفؤنها.

وقد قال الشيخ للبابا شنوده في أول لقائه به أن بيننا أمور نتفق عليها وأمور تختلف فيها.

وقد بدأت علاقة الشعراوي بالبابا شنوده عندما ذهب الشيخ الشعراوي إلى لندن لتلقي العلاج هناك وكلف البابا شنوده مطران برمنجهام بزيارة الشيخ وتقديم هدية باسمه إليه مع تكليف أي طبيب قبطي هناك بتقديم رعاية خاصة للشيخ...

وعندما عاد الشعراوي إلى مصر أبدى رغبة في زيارة البابا, وقد نقل وزير الأوقاف د/محمد على محجوب هذه الرغبة للبابا التي لقيت ترحيبًا كبيرًا... وكان يومًا لا ينسى ولحظة تاريخية... حينما أصطف الأقباط الذين كانوا في الكتدرائية بالعباسية بمجرد رؤيتهم للشيخ يشق طريقه وسطهم لمقر البابا وظلوا يصفقون له... وقدم الشيخ الشعراوي هدية للبابا عبارة عباءة من الصوف.. وأستمرت الجلسة فترة طويلة وشعر الأقباط بمدى السماحة التي يتميز بها الشيخ الذي كان يتحدث بمودة وحب نابعين من القلب يأخذ بكلامه قلوب مستمعيه إلى حيث يريد, وجمعت العديد من اللقاءات الرجلين بعد ذلك, وقد زار البابا الشيخ الشعراوي مرتين بمستشفى كليوباترا اثناء مرضه.

ويصف البابا شنودة الشيخ الشعراوي فيقول: أنه كان يتسم بصفات كثيرة طيبة, ويكفي أنه وهب لتبسصير الناس بأمور دينهم بأسلوبه السهل الذي استطاع أن يصل إلى البسطاء من الناس...

أسرة الشيخ الشعراوي:

تتكون أسرة الشيخ الشعراوي من خمسة أبناء ثلاث رجال وسيدتان واحد وعشرين حفيدًا بمختلف مراحل التعليم... وأكبر أبناء الشيخ هو الشيخ سامي الشعراوي, تليه الحاجه فاطمة والتي رافقت الشيخ خلال رحلة علاجه بلندن, ثم الحاج عبد الرحيم والسيدة أمنية وأخيرا أحمد الشعراوي... ومن الجدير بالذكر أن ابناء الشعراوي فيما عدا الأبن الأكبر سامي الشعراوي لم يكملوا تعلمهم وذلك بسبب انشغال الشيخ بالدعوة واعطاء كل وقته لها وكان اهتمامه الأول هو أن يحفظ أبنائه القرآن الكريم كاملا فهو أفضل علم ينتفع به في الدنيا والآخرة, فحفظ جميع أبنائه القرآن.

من مأثورات الشيخ:

كثيرًا ماتفوه الشيخ بالحكم ونطق بها وكثيرا ما كانت له كلمات خالدة ومع هذه الكلمات نمضي ما من تبقى لنا من سطور.

- الله يحاسب الناس في وقت واحد كما يرزقهم في وقت واحد.
- الله يريد أن يخضع قلوبًا لا أن يخضع أجسامًا واخضاع الأجسام يأتي بالقسر أما أخضاع القلوب فلا يأتي إلا بالحب.
- أحب الناس إلى قلبي الذي لا يجاملني بإخفاء عيب فيّ.
- اختلاف الناس في درجاتهم الاجتماعية ضروري ليحتاجوا لبعضهم.
- التطرف جهل مركب.

❁ إذا أراد الله لمبدأ من مبادئ الحق أن يسود فلا بد أن يكون للحق قوة, قوة تسطع بالبرهان, وقوة تردع السنان.

❁ الإسراف حتى في الخير مكروه

❁ الإسلام يريد قلوبًا تخشع وليس قوالبًا تخضع.

❁ الإغتيال جبن عن مواجهة المغتال.

❁ التعصب جبروت مستتر.

❁ الجبابرة يفعلون ما يريدون دون مراجعة والمجنون أيضا يفعل ذلك.

❁ الجمال الحقيقي هو الجمال الذي لا يورث قبحًا في الوجود.

❁ الكلمة من الراس بعد اللقمة من الفاس.

❁ لن يتقدم المسلمون إلا إذا أطلقوا حرية القول فكرا وبحثا وتجربة.

❁ ليس الدين سوى دستور لكل ما هو جميل.

❁ متعة المؤمن العزة أمام الله و المذلة أمام الله.

❁ مثالية الرسول ﷺ نموذج لمن يريد النجاح.

❁ من أراد تطبيق الحكم الإسلامي فليبدأ بنفسه أولاً.

أيام من حياة إمام

- ولد في ١٥ أريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس بمركـز ميـت غمـر محافظـة الدقهلية, مصر.
- حفظ القـرآن الكريم في كتّاب القرية في العاشرة مـن عمـره, وجـّوده في الخامس عشرة من عمره.
- دخل معهـد الزقـازيق الابتدائـي الأزهـري عـام ١٩٦٢م, ودخـل المعهـد الثانوي عام ١٩٣٢م.
- ذهب في رحلة للحج تابعة للأزهر وهو طالب عام ١٩٣٨م.
- تخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر, عام ١٩٤١م.
- حصل على العلمية, مع إجازة التدريس , عام ١٩٤٣م.
- عمل بالتدريس في معاهد : طنطا - الزقازيق- الإسكندرية.
- أعير إلى المملكـة العربيـة السعودية عـام ١٩٥٠م, وعمـل هنـاك مدرسًـا لكلية الشريعة بجامعة الملك عبر العزيز آل سعود بمكة المكرمة.
- عين وكيلاً لمعهد طنطا الديني عام ١٩٦٠م.
- عين مديرًا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م.
- عين مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر عام ١٩٦٢م.

- عين مديرًا لمكتب شيخ الأزهر "حسن مأمون" عام ١٩٦٤م.
- عين رئيسًا لبعثة الأزهر بالجزائر عام ١٩٦٦م.
- عين أستاذا زائرًا بجامعة الملك عبد العزيز –بكلية الشريعة– بمكة المكرمة. عام ١٩٧٠م.
- في يوليو عام ١٩٧٥م, عين مديرًا عامًا لمكتب وزير شئون الأزهر, ثم عين بعد ذلك وكيلاً لوزارة شئون الأزهر للشئون الثقافية.
- أحيل للتقاعد في ١٥ ابريل, عام ١٩٧٦.
- في أغسطس عام ١٩٧٦, منح "وسام الإستحقاق" من الدرجة الأولى بمناسبة بلوغه سن التقاعد, وتفرغه للدعوة الإسلامية.
- في نوفمبر ١٩٧٦ م عين وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر في وزارة السيد "ممدوح سالم".
- خرج من الوزارة في أكتوبر ١٩٧٨م.
- عين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠م.
- تفرغ للدعوة بعد ذلك, ورفض جميع المناصب السياسية أو التنفيذية, التي عرضت عليه.

- سافر في رحلات كثيرة بغرض الدعوة إلى أمريكا وأوروبا, واليابان وتركيا, وعديد من الدول الإسلامية كما حضر عديدًا من المؤتمرات الإسلامية.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م.
- حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة في ٢/٤/١٩٩٠م.
- حصل على جائزة دبي لشخصية العام الحالي ١٩٩٨م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة